المجلد الثاني
العدد العشرون

هنا القدس

١ تشرين الثاني ١٩٤١
١٢ شوال ١٣٦٠



نتشر في هذا العدد عدة صور جميلة لحرفة صيد السمك في فلسطين
وهنا صورة صياد عربي يلقي شبكته في الماء وقد جمع وراء ظهره
ما اصطاده من السمك

من آداب القرآن الكريم

للآنسة قدسية خورشيد

مما يؤسف له حقا أن نرى كثيرات من نسائنا يعرفن آداب كثير من أمم الغرب فاذا ما تناول البحث أمم الشرق وآدابه والعرب خاصة رأينا هن أجهل شيء فيها ، هذا أسهل من جهل المرأة المسلمة بآداب كتابها وما فيه من آيات بينة تكفل سعادة الدنيا والآخرة وان أجمل وأوضح وأجمع وصف أرضى أتى به بشر ووصف به القرآن هو قول أحد البلغاء فيه ، قال : (ان أوجز كان كافيا وان أكثر كان مذكرا ، وان أسرف فناصحا ، وان نهى فمشفقا ، وان حكم فعادلا وان أخبر فصادقا وان بيّن فشافيا. لا يمله قارئه ولا يمجه سامعه يزيد على الترديد حلاوة وعلى التكرار طلاوة وغيره يعادى اذا أعيد ويمل مع التكرار والترديد ذلك هو القرآن الكريم المنزل على محمد صلى الله عليه وسلم آخر الانبياء وخاتم المرسلين المكتوب في السطور المحفوظ في الصدور من بدء نزوله الى أن يشاء الله أن يكون

(انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون)

أنزل هذا الكتاب هدى وبيانا وحوى من الاحكام الكلية الصالحة لكل زمان وكل أمة ما يكفل السعادة الدنيوية والاخروية اذا فهم على وجهه وأدى حق تأديته وحث على الاخلاق الفاضلة من الصبر والصدق والعدل وحسن المعاملة ورعاية الجوار والاعتصام بحبل الاتحاد والوفاء بالعهد والامر بالمعروف والنهى عن المنكر الى غير ذلك مما ينهض بالفرد والامة جميعا على السواء

ولما كان هذا الكتاب الكريم قد أرسل الى الناس كافة رجالا ونساء لحق على المرأة أن تتأدب بآدابه وتتبع هداه وتعمل بما جاء فيه فان وعده قد شمل (المسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات والقانتين والقانتات والصادقين والصادقات والصابرين والصابرات والخاشعين والخاشعات والمتصدقين والمتصدقات والصائمين والصائمات والحافظين فروجهم والحافظات والذاكرين الله كثيرا والذاكرات أعد الله لهم مغفرة واجرا عظيما)

وشمل وعيده الكاذبين والكاذبات والخبيثين والخبيثات والسارقين والسارقات وقاذفي المحصنات والقاذفات والظانين بالله ظن سوء والظانات فأعد لهم عذابا أليما

أمر الجميع باطاعة أوامره السامية واجتناب نواهيه ووعى آياته وعظاته ففيه لمن اتبعه المثل الاعلى للحياة الدنيا والاخرى وقد دل سبحانه على غرض انزاله بقوله :

(ان هذا الكتاب يهدى للتى هى أقوم ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات أنّ لهم أجرا كبيرا)

كتاب يهدى الى الحق وطريق مستقيم وهل اتى بما تنفر منه النفس ولا يستطيع الجسد القيام به ؟ معاذ الله وهو الذى قال فيه :

(لا يكلف الله نفساً الا وسعها لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت ، ربنا لا تؤاخذنا ان نسينا أو أخطأنا. ربنا ولا تحمل علينا اصرا كما حملته على الذين من قبلنا ، ربنا ولا تحمّلنا ما لا طاقة لنا به ، واغفر لنا وارحمنا ، أنت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين)

فقد جعل هذا الكتاب الحياة يسرا بعد عسر وفرجا بعد ضيق وأمنا بعد خوف ونعيما بعد شقاء تألفت به قلوب متنافرة باعد بينها الحقد وفرقت شملها العصبية المقيتة فتألفت به وأصبحوا بنعمته اخوانا

بماذا أتى ذلك الكتاب الكريم حتى جعل أمة كانت متنافرة متدابرة تسود العالم قرونا عدة ؟ لا شك أنه قد أتى باسمى الاحكام وأقرب القوانين الى العقل والمنطق وايسر السبل في الآداب والمعاملة حتى غزا العالم شرقيّه وغربيّه بتلك البساطة والسهولة

أورد الله تعالى آياته الكريمة مرشدا للخلق كافة بحثهم على السعى والكد بقوله :

(فامشوا في مناكبها وكلوا من رزقه واليه النشور)

ففى هذه الآية حث على السعى في سبيل الرزق حتى لا يركن المرء للبطالة والكسل فيبقى عاطلا وعالة على المجتمع الانسانى

وحثهم على طلب العلم في استكناه ما حولهم من مخلوقات صغيرها وجليلها فقال :

(ان في السموات والارض لآيات للمؤمنين ، وفي خلقكم وما يبث من دابة آيات لقوم يوقنون. واختلاف الليل والنهار وما أنزل الله من السماء من رزق فاحيا به الارض بعد موتها وتصريف الرياح آيات لقوم يعقلون . تلك آيات الله نتلوها عليك بالحق فبأىّ حديث بعد الله وآياته يؤمنون). هذا عدا عن أنه لسجل تاريخى أتانا فيه بانباء القرون الاولى وما آلت اليه فقال :

(الم يروا كم أهلكنا من قبلهم من قرن مكناهم في الارض مالم نمكن لكم وارسلنا السماء عليهم مدرارا وجعلنا الانهار تجرى من تحتهم فاهلكناهم بذنوبهم وانشأنا من بعدهم قرنا آخرين)

وهو كتاب علمى. فقد نزلت فيه أسرار أظهرها البحث وكشفها العلم واثبتها ومن ذلك قوله (وارسلنا الرياح لواقح) وقوله (مرج البحرين يلتقيان بينهما برزخ لا يبغيان) وقوله (أولم ير الذين كفروا أن السموات والارض كانتا رتقا ففتقناهما وجعلنا من الماء كل شيء حى أفلا يؤمنون). هذا وقد أنزل آياته مرشدة الى أمور ثلاثة هى كيفية تأدب الناس مع الله تعالى أولا ومع بعضهم ثانيا ومع أنفسهم ثالثا. وقد



أخذت هذه الصورة التذكارية أثناء الحفلة التى أقامتها بلدية جنين تكريما للمستر بلانكنسوب مساعد حاكم اللواء بمناسبة نقله الى لواء غزة. وقد جلس عن يسار المحتفى به سعادة رئيس البلدية تحسين أفندى عبد الهادى وفضيلة الشيخ سعيد كساب المحامى كما جلس عن يمينه حضرة القائمقام بديع أفندى بشرونى. وقد ظهر في الصف الاخير عدد من الوجهاء عرفنا منهم السادة : زهدى منصور مدير المال ، محمد شكيب عبد الهادى ، محمد سعيد عبد الهادى ، الحاج على الجرباوى ومحمد سعيد العبوشى. وقد جلس أمام رئيس البلدية الاستاذ على أفندى السرطاوى مدير المدرسة الاميرية.

أمر بالتأدب معه باتباع أوامره واجتناب نواهيه وتقواه تعالى. فقد قال (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولا سديدا يصلح لكم أعمالكم ويغفر لكم ذنوبكم ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزا عظيما)

وقال : (ان الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون)

فقد جعل سبحانه وتعالى تقواه أساسا لمغفرته واحسانه ومن الطبيعى أن الانسان اذا ما تأدب مع خالقه واتقاه فهو يحسن الى الناس ويتأدب معهم فهو حينئذ يشعر بمراقبة الخالق له في كل أحواله فلا يؤذى مخلوقا ولا يسيء الى أحد ويسعى الى الاحسان الى الناس ومعاملتهم بالرفق والمودة والرحمة. هذا عدا عن آيات كثيرة تحث على تقوى الله تعالى والتقوى أساس جميع أعمال البر

ثم أمر سبحانه وتعالى بوجوب التأدب في المعاملة مع الناس وان أقرب الناس الى المرء والداه فان عيشه معهما تحت سقف واحد وأكله واياهما من طعام واحد يحتم عليه معاملتهما بالحسنى وقد حث سبحانه وتعالى وحض على تلك المعاملة في أماكن كثيرة من الكتاب الكريم لما للوالدين من فضل على المولود لا يجحد. لا كما يظن البعض أن الانسان متى كبر واستطاع أن يعتمد على نفسه في كسب معاشه ترك مشورة الوالدين وأهمل شأنهما وحسبهما كمية مهملة لا يؤبه لها. هل نسى احسانهما اليه ؟ افبهذا يجزى المحسنون ؟ فقد أمر الله سبحانه وتعالى بالاحسان اليهما في آيات كثيرة وفصل أسباب ذلك الاحسان فقال :

(ووصينا الانسان بوالديه حملته أمه وهنا على وهن وفصاله في عامين أن اشكر لى ولوالديك الىّ المصير) فقد أوجب تعالى شكر الوالدين بعد شكره مباشرة

وقال في موضع آخر :

(وقضى ربك الا تعبدوا الا اياه وبالوالدين احسانا. فاما يبلغنّ عندك الكبر أحدهما أو كلاهما فلا تقل لهما أف ولا تنهرهما وقل لهما قولا كريما واخفض لهما جناح الذل من الرحمة وقل رب ارحمهما كما ربيانى صغيرا). فهل ينسى المرء اياما وليالى سهرها الوالدان قرب المهد لا يغمض لهما جفن ولا ترقأ لهما دمعة حنانا وشفقة وحبا وعطفا يودان لو يفديان الوليد بما ملكت يمينهما. فمهما قدّم الوليد من احسان فلن يفي بحق والديه. فمن المؤلم أن نرى الفتاة أو الفتى اذا ما شب أحدهما عن الطوق أن يستبد برأيه ويعمل ما يزينه له شبابه وشهواته دون أن يحسب لمن رباه حسابا

وان الله سبحانه وتعالى لم يقصر وصيته على بر الابناء بالاباء بل قدم الى هؤلاء قوله في معاملة الابناء حتى لا يرتكب الاب والام حماقة عن جهل تؤدى بحياة جنين بريء وهبه الله نعمة الحياة فيسعى أحدهما الى حرمانه منها. والى هذه الآية الكريمة أوجه نظر دعاة تحديد النسل ومرتكبي جرائم الاجهاض المقصود سعيا وراء تقليل كلفة العيش على رب الاسرة فقد قال تعالى :

(ولا تقتلوا أولادكم خشية املاق ، نحن نرزقهم واياكم أن قتلهم كان خطئا كبيرا)

هل من سامع — ان قتلهم كان خطئا كبيرا. وان ملافاة الامر قبل وقوعه خير من ارتكاب جريمة ان خفيت عن عين القانون فليست بخافية عن عين الله تعالى

وقال تعالى : (قد خسر الذين قتلوا أولادهم سفها بغير علم وحرّموا ما رزقهم الله افتراء على الله قد ضلوا وما كانوا مهتدين)

وقال : (واذا بشر أحدهم بالانثى ظل وجهه مسودا وهو كظيم يتوارى من القوم من سوء ما بشر به أيمسكه على هون أم يدسه في التراب الا ساء ما يحكمون)

وان تلاشت مع الاسلام عادة دس الانثى في التراب الا أن الوجه المسود الكظيم والامساك على هون لا يزال له أثر بيننا. وما أظن للوليدة ذنبا تؤاخذ عليه وليس الخطأ خطأها ان كان ثمة خطأ في الامر

سيدتى

هذه بعض من آدابه وأظن أن الوقت يمر بأسرع مما توهمت ، ظننت أننى سأحيط بمعظم آدابه في هذه العجالة ولكن ظهر لى العكس ولم آت الا بجزء يسير جدا منها فآدابه لا نهاية لها في هذا الحديث وسأتيك بجانب آخر في حديثى القادم ان شاء الله تعالى.



سعادة حسن نشأت باشا سفير مصر في لندن يفتتح المسجد الاسلامى الذى بنى في شرق لندن ومركز الثقافة الاسلامى هناك ، والى يمينه سعادة الشيخ حافظ وهبه وزير المملكة العربية السعودية

مسامرات الاحداث

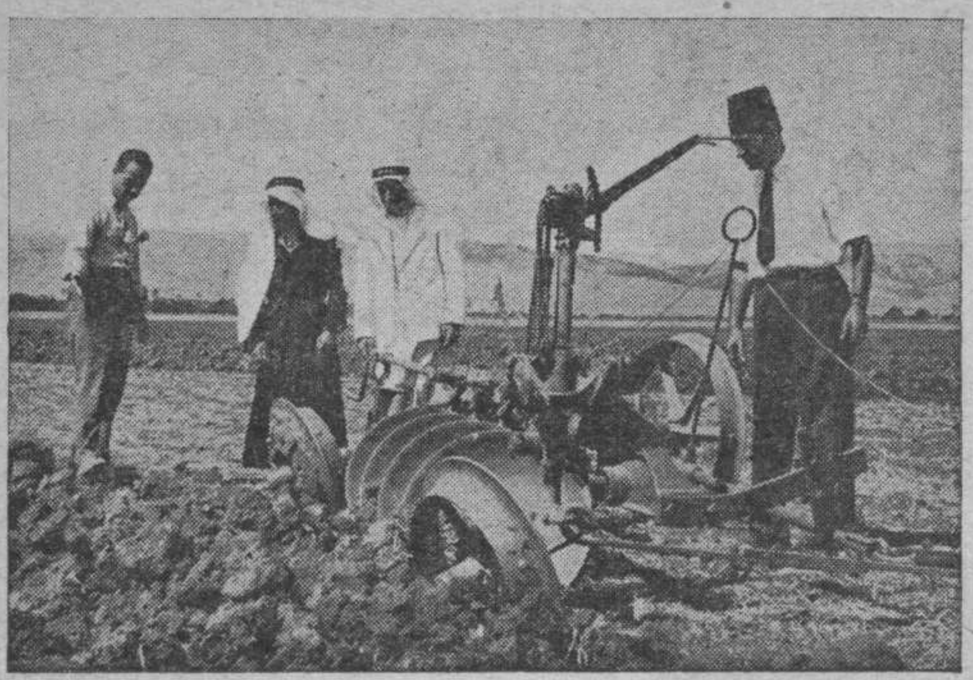
بركة رمضان

للاستاذ ياسين الخالدى

أيها الاحداث الكرام لا ريب عندى أن بعضكم كان صائما رمضان الشهر كله ، ولا ريب عندى أنه لا يخفى على أحد منكم أن من مزايا الصيام تربية الارادة وتقويتها ، وتربية الارادة وتقويتها في الاحداث ضرورة كبيرة لان عليها مدار النجاح في حياتكم المستقبلة.

أنا لا أريد أن أبحث معكم الآن في هذه الناحية من تربية الارادة كأنى معلم في مدرسة ، وكأنكم منتظمون في صف الدرس في المدرسة. كلا بل أريد أن اخاطبكم في يوم العيد هذا مخاطبة محدث مراده أن يخبركم من على هذا المذياع أن لرمضان فضلا كبيرا على النفوس جميعها من كبير وصغير فاسمعوا الآن الى هذه القصة التى تتعلق ببركة رمضان وهذا ما جعلته عنوان حديثى اليكم :

اجتمعت العائلة كلها — هذا مبدأ القصة — حول مهد الطفل الجديد الذى ولد يوم عيد الفطر وكان مولده صباح يوم العيد فتيمنت أمه وأبوه وجدته واخوته واخواته به وفرحوا فرحا عظيما ، وامتزجت أفراح العيد باهازيج الاستقبال للمولود الجديد. ولكن لم يلبث هذا الفرح أن جعل يتحول الى شيء





مزارعون يراقبون حراثة الاراضى حراثة عميقة
بواسطة تراكتور للحكومة ، بجوار جنين

من الجدل العنيف بين أفراد الاسرة حول اختيار الاسم للمولود الجديد فقال الحاج مصطفى المرزوق رب الاسرة أنا شديد الرغبة في تسمية أولادى بأسماء الشهور الكريمة وأسماء الانبياء والصالحين. فعندى رجب حفظه الله وبعد سنتين سيكون معوانا لى في حياتى وعندى شعبان وبعد سنة سيحصل على الشهادة الابتدائية من مدرسة طبرية وسميت ابنتى هاجر لان اسم هاجر قريب من كلمة الهجرة ثم سميت منذ سنتين اسماعيل والآن رزقنا الله ولدا جديدا فاحب أن أطلق عليه اسما من هذا النوع فقالت الحاجة شهلا أم رجب وأنا معك يا حاج مصطفى فقد رأينا الخير والبركة في جميع أسماء أولادنا. ولكن قالت لى جارتى أم رئيف أمس يا حاجة شهلا كفاكم أسماء من أسماء الشهور القمرية فاذا رزقك الله ولدا فبالله عليك سميه اسما جديدا مثل رامز ولطفى أو حكمة أو ثروت ولكنى يا حاج مصطفى لا أريد الاسماء الجديدة أبدا.

وماكادت الحاجة شهلا تنطق بهذه الكلمة الجديدة حتى صرخت والدتها الحاجة فاطمة وهى شيخة متقدمة في السن كانت تجلس في زاوية من البيت قائلة : الله يرضى عنكم يا بنتى ويا صهرى الحاج مصطفى فاذا أعطيتم هذا الولد اسما من غير جنس الاسماء التى في بيتنا فأنا أظل شهرين دون أن أقبله ولا مرة وقلبي لا يصفو أبدا فان بركة رمضان في بيتنا منذ زمان قديم وقد أوصانى أبى كما أن جدى أوصى أبى بأن نظل دائما محتفظين بأسماء أولادنا وهى من أسماء الشهور القمرية وما أشبهها ومن أسماء الانبياء والرجال الصالحين. ثم أنت يا حاج مصطفى يا صهرى الحبيب يا نور عيونى كيف تنسى أن لقبك الحاج مصطفى المرزوق وما كنت مرزوقا بالحقيقة الا لحسن نيتك وصلاتك وصيامك ومعاملتك الناس بالحق وقولك الصدق والتبرك بجعل أسماء أولادك جميعا أسماء الشهور الكريمة وأسماء الانبياء. قالت الحاجة فاطمة هذا الكلام بحماسة شديدة وايمان كبير ثم صاحت كأنها مذعورة :

«يا جميع الذين في البيت ، في بيت صهرى الحاج مصطفى المرزوق ، اسمعوا لى أعمل شيئا واحدا الآن في هذه الساعة من صباح يوم العيد ، والله يغضب على من يخالفنى».

فاذا بالجميع كأن على رؤوسهم الطير ، ثم قال لها الحاج مصطفى «يا حاجة فاطمة يا امرأة عمى ، أنا ما عمرى رددت لك طلبا ولا أم رجب ، فقولى ما تريدين وانت بركة البيت عندنا.

واذا بالحاجة فاطمة تنهض من زاوية البيت كأنها شابة في العشرين من عمرها وعليها علامات النشاط وأسرعت نحو سرير الطفل الجديد ولما اقتربت منه بسطت يديها وتلت أشياء في نفسها فيها بعض الآيات والاحاديث وبعض الاذكار التى لم يستطع الحضور أن يفهموا كل كلماتها. ولما فرغت من تلاوة هذه الآيات والاحاديث والادعية رفعت يديها الى فوق وقالت بصوت عال يا حاج مصطفى يا بنتى يا حاجة شهلا يا أولادى يا أحفادى يا رجب وشعبان يا ربيع ويا هاجر واسماعيل اسمعوا منى أنا أريد أن اسمى أخاكم الجديد رمضان. بارك الله في رمضان والبركة في رمضان.

قالت هذا ثم انحنت فوق السرير وجعلت تقبل الطفل تقبيلات لطيفة ثم جعلت تقرأ في نفسها كما فعلت قبل هنية ثم اغرورقت عيناها بالدموع ثم رجعت الى الزاوية وجلست فيها تقرأ أشياء في نفسها. فكان لهذا العمل الذى قامت به الحاجة فاطمة تأثير شديد لا في نفس الحاج مصطفى المرزوق صهرها الكريم أو في نفس الحاجة شهلا فقط بل في نفس كل من الاولاد رجب وشعبان وربيع الذى يسرح ويمرح في أرجاء البيت كالغزال وهاجر الفتاة الصبية الجميلة التى تقول عنها معلمتها في المدرسة أنها أمهر الطالبات واذكاهن وهى تحافظ على الصلاة في البيت محافظة تامة ثم اسماعيل الذى ينتقل بين أثاث البيت ويملأ غرفه زقزقة وتغريدا كتغريد العصافير.

عند هذا قالت الحاجة شهلا أم رجب «يا حاج مصطفى. أنا على رأى أمى فهذا الولد الذى الى جانبي الآن يجب أن نسميه رمضان. فقال الحاج مصطفى «وانا أوافق على هذا وما رأيكم يا أولادى» فأجاب الجميع بصوت واحد «رمضان رمضان» الله يحفظه.

وبهذا يكون اسم رمضان أيها الاحداث الكرام قد أضيف الى لائحة الاسماء في بيت الحاج مصطفى مرزوق في طبريا والحاج مصطفى خبير بصيد السمك ولكنه غيور جدا على تربية أولاده تربية دينية صحيحة وتعليمهم تعليما كافيا ليؤهلهم للحياة الجديدة ما أمكن. ولذلك بات شديد الاشتياق ليرى كبير أولاده رجب يعينه في أعمال الحياة وقد نال قسطا من التعليم واما شعبان فبوده أن يرسله الى الجامعة الاميركية مهما كان الامر.

أيها الاحداث الاعزاء ، لا بد لنا الآن من الانتقال بالطائرة على أكتاف السنين والاعوام والشهور والايام فنجتاز بلحظة سبعة عشر عاما واذا برمضان نراه شابا مجتهدا في دروسه صحيح الإخلاق يحب أهله ووطنه ويحب اسمه رمضان فوق كل شيء وكانت هناك صعوبة واحدة يلقاها رمضان عندما يلتقى باصدقائه القدماء أو الذين يصاحبهم من جديد. فكان لا بد لاصدقائه أن يسألوه لماذا يلاحظون كثرة الاسماء في بيت والده من أسماء الشهور القمرية وأسماء الرسل والانبياء. ويظهر أن رمضان لكثرة ما كان يلقى عليه هذا السؤال قرر أن يجيب عليه جوابا واحدا لا يتغير ، مختصرا وجيزا ، فيه مقطع الكلام وهو أن يقول «ان هذه الاسماء من تقاليد بيتنا في طبريا». ولكنه كان يود أن يشرح رأيه الخاص في هذه الاسماء وحبه لها ولكن موضوعا كهذا اعتقد أن لا يكون له في نظر أصدقائه غير نصيب قليل من الفكاهة والهزل. وبعد ست سنوات قضاها رمضان في الجامعة الاميركية تلقى الكتاب التالى من أحد معاهد العلم في أميركا :

«حضرة الفاضل السيد رمضان الحاج مصطفى مرزوق المحترم»

بواسطة الجامعة الاميركية — بيروت

تحية واحتراما. كلفتني عمدة الجامعة في مدينة برنستون أن أعلمكم أنها قررت قبولكم في عداد طلابها الذين تساعدهم مساعدة مالية لمدة سنتين وهى المساعدة التى ستطلعكم الجامعة الاميركية في بيروت على تفاصيلها ، كما أن ترتيبات سفركم تتخذ بواسطة الجامعة الاميركية في بيروت.

التوقيع المخلص

ا . م . جورج جيمس

أيها الاحداث الكرام ثم اسمعوا هذا الكتاب الذى بعث به رمضان الى أبيه من مدينة برنستون بعد أن قضى في جامعتها سنتين نال فيها درجة علمية كبيرة وعرضت عليه تلك الجامعة كرسى استاذ لتدريس التاريخ العربي فيها وذلك بمرتب كبير وهذه صورة الكتاب الذى كتبه رمضان الى والده.

سيدى الوالد المحترم

أقبل أيديكم وأيدى سيدتى الوالدة وأيدى سيدتى الجدة الحاجة فاطمة التى بلغنى انحراف صحتها قليلا منذ شهر من الزمن فعساها هى اليوم وعساكم جميعا بالصحة التامة والرخاء. وأخذت مكتوبكم منذ اسبوع وسررت به جدا وقد تأخرت بالجواب عليكم حتى اليوم لانى كنت انتظر جواب عمدة الجامعة اليّ بخصوص ما عرضته عليّ من منصب التدريس للتاريخ العربي فيها ويسرنى يا والدى العزيز أن أخبركم أن الاتفاق قد تم بينى وبين الجامعة على هذا ولذلك لا أستطيع زيارة فلسطين هذه السنة لانها ستكون السنة التدريسية الاولى في هذه الجامعة ولكنى وأنا أكتب هذا الكتاب في صباح يوم الجمعة وعيد الفطر المبارك ، وقد أرقت الليلة الماضية أرقا شديدا فلم أنم الا بضع ساعات ، لا بد لى أن أكشف لكم يا والدى العزيز عن بعض سرائر قلبي ونفسى وأعتبر أن التأخير في الكشف لكم عن سرائرى هذه يعد جناية على الضمير والعقيدة والوجدان.

أخبركم يا والدى أن الشيء الوحيد الذى رافقنى مدى حياتى منذ نشأت في البيت عندنا في طبريا الى أن انتهيت من دروسى الابتدائية الى أن انتميت الى الجامعة الاميركية في بيروت الى أن أتيت الى جامعة برنستون فأكملت تحصيلى فيها وتمتعت بمساعدتها المالية الى هذه الساعة التى قبلت بها أمس منصب التاريخ العربي في الجامعة كان ولم يزل نورا في نفسى كل هذه المدة هو اعتقادى أن بركة توفيقى في حياتى ليس الفضل فيها الى جدى واجتهادى فقط بل الى اعتقادى الوطيد أن اسمى يحمل بركة رمضان وانى كنت مواظبا في البيت وفي الجامعة الاميركية في بيروت وفي جامعة برنستون حتى الآن على واجباتى نحو نفسى وواجباتى نحو ربي وواجباتى نحو امتى ووطنى.

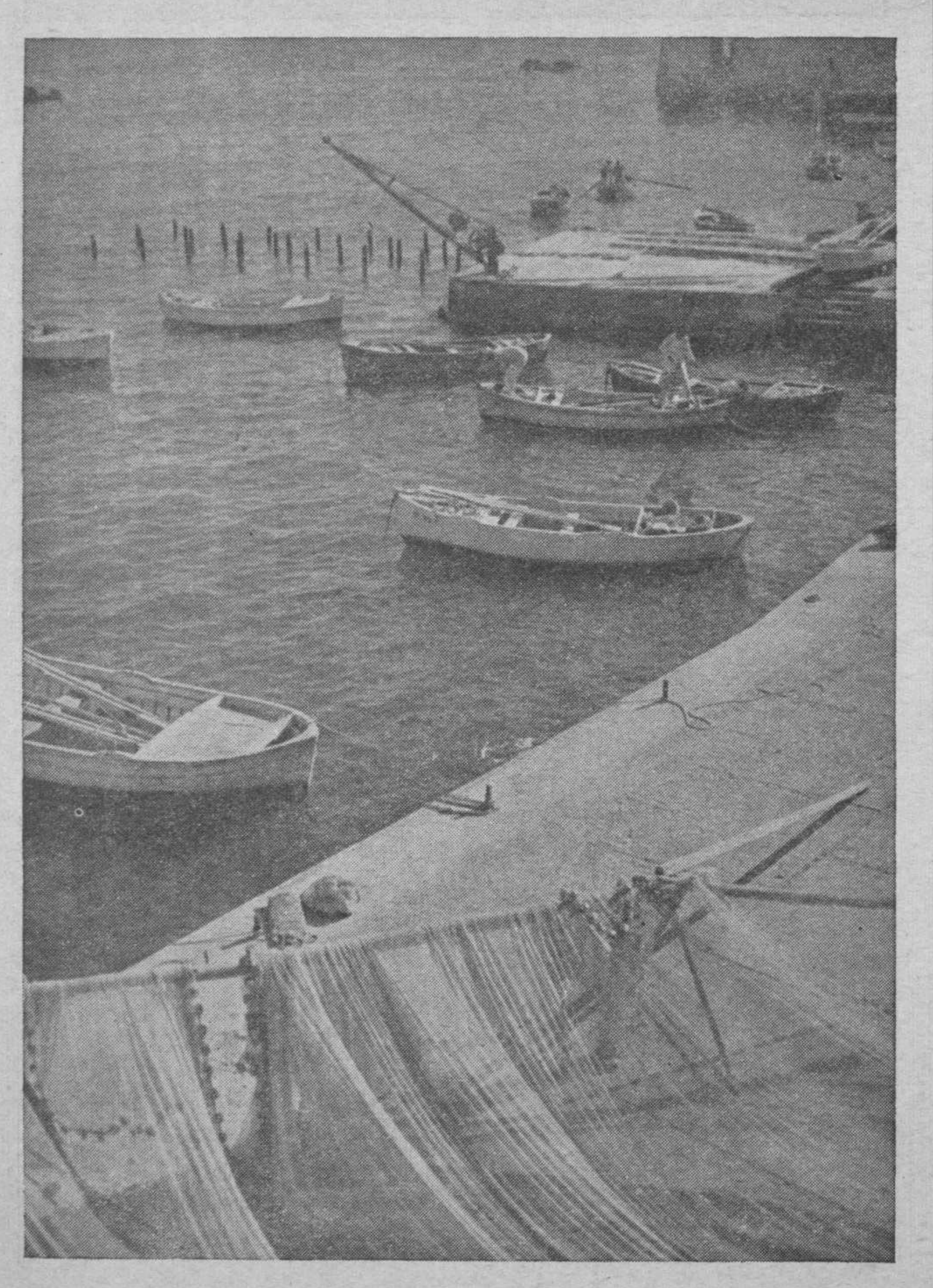
سيدى الوالد تجدون بطيه حوالة بخمسين دولارا أميركيا أقدمها لكم هدية العيد لاخوتى رجب وشعبان وربيع واسماعيل واختى هاجر على أن تقدموا من هذا خمسة دولارات لجدتى الحاجة فاطمة وهذا من بركة رمضان فارجو منكم أن تواصلونى بادعيتكم جميعا.

صناعة صيد السمك

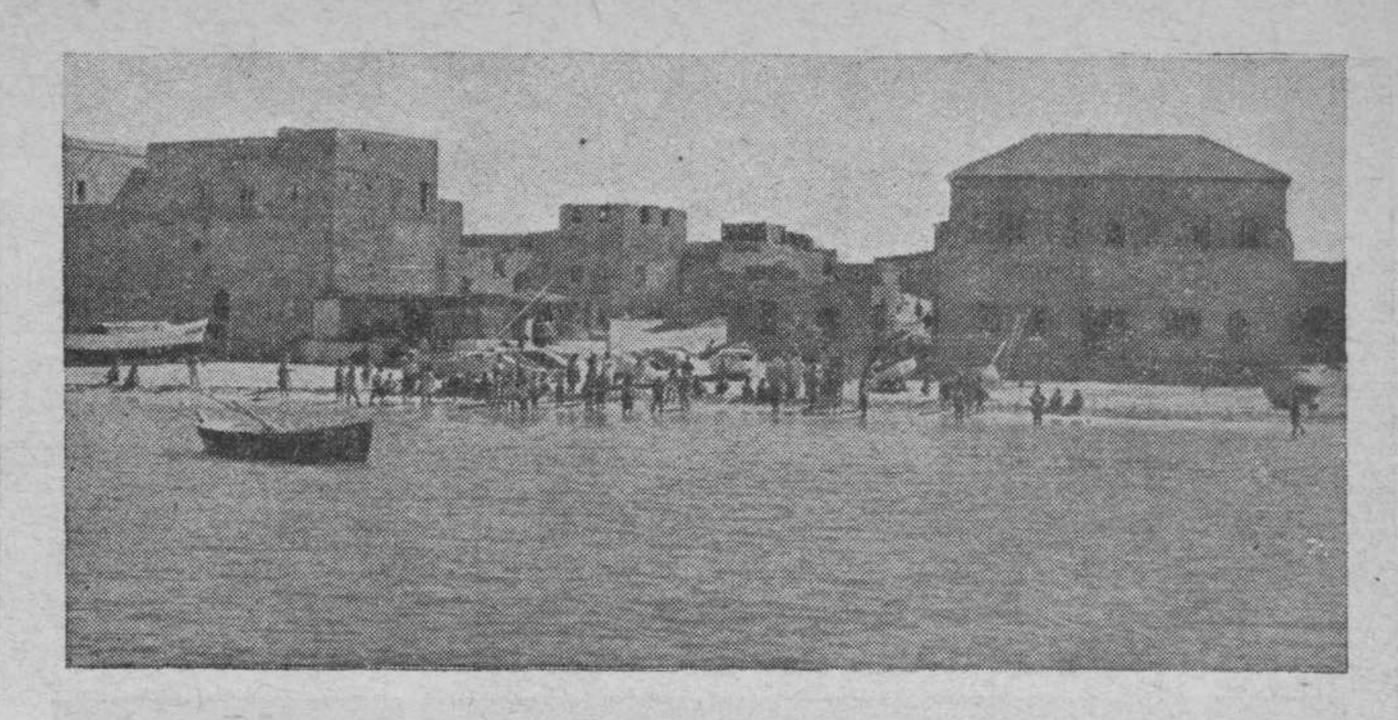
في فلسطين

يبلغ عدد صيادى السمك في فلسطين ألفى شخص تقريبا ، يسكن معظمهم المدن والقرى الواقعة على ساحل البحر المتوسط. ويعيش فريق آخر منهم ، ويزاول مهنته حول بحيرة طبريا. وأهم مراكز صيد السمك هى الزيب وعكا وحيفا والطنطورة وقيسارية ويافا وتل أبيب والجورة وغزة. وتعمل بضع سفن للصيد في حيفا وتل أبيب ويافا ، ولكن معظم عمل هذه السفن ينحصر في المناطق القريبة من الشاطىء ، بحيث لا يتجاوز ضربها في عرض البحر أكثر من أربعة أميال الى خمسة أميال. والسفن المستعملة في هذه الصناعة، سفن خشبية مفتوحة من نوع (السنابك والقوارب ، التى لا يتجاوز طولها الستة أمتار. وثمانون في المئة من محترفي هذه الصناعة هم من العرب

وطرق الصيد المستعملة في فلسطين عديدة متباينة نكتفي بأن نذكر منها طريقة (الشرك) و(شبكة الطرح) و(المبطن) و (التحويق). وطريقة الشرك تستعمل في المياه الضحلة ، (القريبة الغور) أو المياه البعيدة الغور ، وذلك تبعا للموسم والظروف. ويتراوح عدد الصنانير التى تستعمل في المرة الواحدة بين خمسين صنارة وثلاثمائة صنارة. ، أو أكثر. وطريقة الشرك

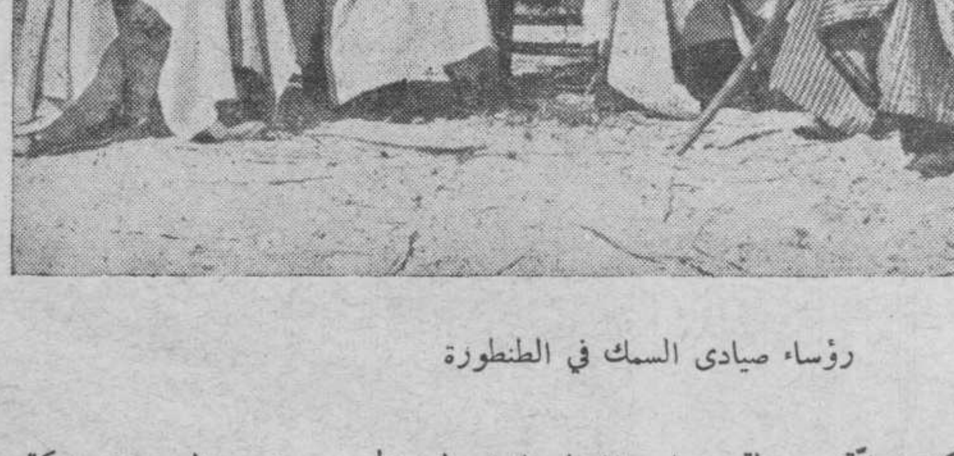


قوارب الصيد في ميناء عكا



الطنطورة وصيادو السمك فيها





رؤساء صيادى السمك في الطنطورة

تقوم على جعل خيط الصيد في شكل (سلّة) منبسطة ، ويحتاج وضع الشرك بسرعة في الماء الى مهارة وحنكة كبيرتين ، بحيث يتركز الشرك في الماء ، ويتدلى من طرفيه حجران لكي يساعدا على غمره بالماء ، في حين يرتفع منه خيط آخر ، يرتبط بطفاف يمكن بواسطته تعيين مكان الشرك.

أما طريقة شبكة الطرح فلا تستعمل الا في المياه الضحلة ، وينزل الصياد نفسه في الماء ، أثناء الصيد بطريقة شبكة الطرح ، ولكن بعض الصيادين يستخدمون القوارب أثناء الصيد في بحيرة طبريا ، ولا سيا عند صيد (السردين) الذى يوجد في المياه البعيدة الغور نسبيا. واتقان رمى الشبكة يحتاج الى خبرة سنين كثيرة.

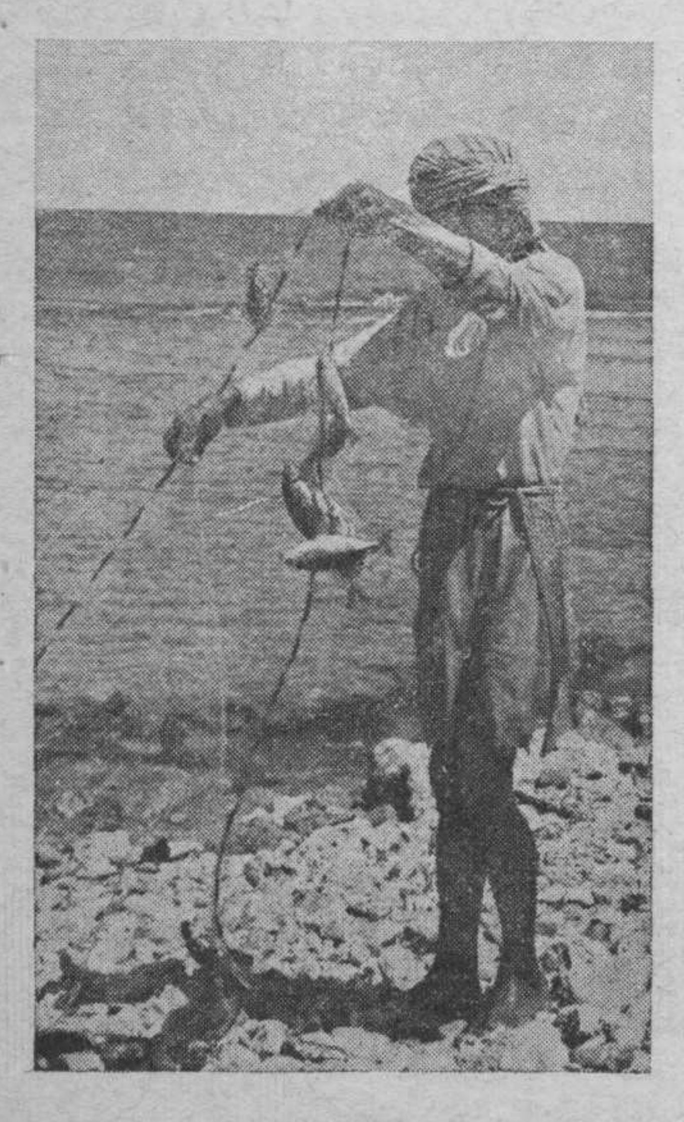
وأما طريقة (المبطن) فعبارة عن شبكة تنشر تحت سطح الماء ، على شكل حائط عمودى ، تدخله الاسماك فلا تستطيع الخروج منه. و(التحويق) شبكة أوسع نطاقا من الشبكة المستعملة في (المبطن). يطوق بها الحوض أو رقعة الماء التى فيها السمك البورى وغيره.

وهذه الطرق الاربع تكاد تكون من مميزات صناعة صيد السمك في عكا والطنطورة ، وقد أوضحت هذه الطرق بالصورة المنشورة مع هذا الكلام ، وترى فيها الشباك وقت استخدامها في صيد السمك ، أو أثناء تجفيفها.

وتقوم الحكومة بمهمتين رئيسيتين بالنسبة الى صناعة صيد الاسماك ، وهى تشجيع هذه الصناعة من جهة ، ومراقبتها من جهة أخرى. أما التشجيع فيقوم على وسائل وطرق متعددة. فهى مثلا تعرض للصيادين قوارب الصيد التى تسير بقوة البخار ، لكى يتعلم الصيادون الذين يزاولون أعمالهم على مقربة من الشواطىء ، فائدة القوارب البخارية ، من حيث السرعة ، ومن حيث تغلبها على تقلبات الاحوال الجوية ، حتى اذا تعود الصيادون على الادخار ، استطاعوا اقتناء قوارب كهذه ، تسهيلا لاعمالهم. وقد ساعدت الحكومة صيادى السمك بأن عقدت لبعض الافراد والجماعات من محترفي هذه المهنة



القاء شبكة «الشرك» في البحر



جمع شبكة الصيد على طريقة «شبكة الطرح»



تجفيف حبال قارب صيد السمك ، ضرورى جدا

القاء شبكة الصيد على طريقة التحويق في مياه عكا

النشيطين ، قروضا تمكنهم من شراء الشباك وغيرها من اللوازم ، في هذه الاوقات التى ارتفعت فيها أسعار الحاجيات. يضاف الى هذا أن الحكومة تقوم بواسطة مصلحة مصايد الاسماك بتقديم المساعدات الكثيرة للصيادين ، بطريق الارشاد والتشجيع ولكن الصيادين كثيرا ما يضربون بهذه الارشادات عرض الحائط ، غير فاطنين الى أهميتها ، ولا مبالين بقيمتها.

أما مهمة الحكومة الرئيسية الثانية فهى مراقبة المصايد ، والاشراف عليها وهو أمر حيوى ، مع أن الكثيرين من الصيادين لا يقدرون هذه الجهود ولا يفقهون أهميتها ، ويرون فيها تدخلا لا مبرر له. والحكومة تبذل جهودا كبيرة في حماية الاسماك من الانقراض ، والاذى. وهى تتبع لتحقيق هذا الغرض طريقتين رئيسيتين تطبيق كليهما صعب. أما الطريقة الاولى التى تتبعها الحكومة لحماية الاسماك من الانقراض فهى وضع حد قانونى أدنى لحجوم (عيون) الشبكة أو فتحاتها ، وتعيين حد قانونى أدنى لحجوم الاسماك المسموح بصيدها وعرضها في الاسواق. وهذه الطريقة تسمح للاسماك الصغيرة ، التى لم تكبر بعد ، بأن تكبر وتترعرع.

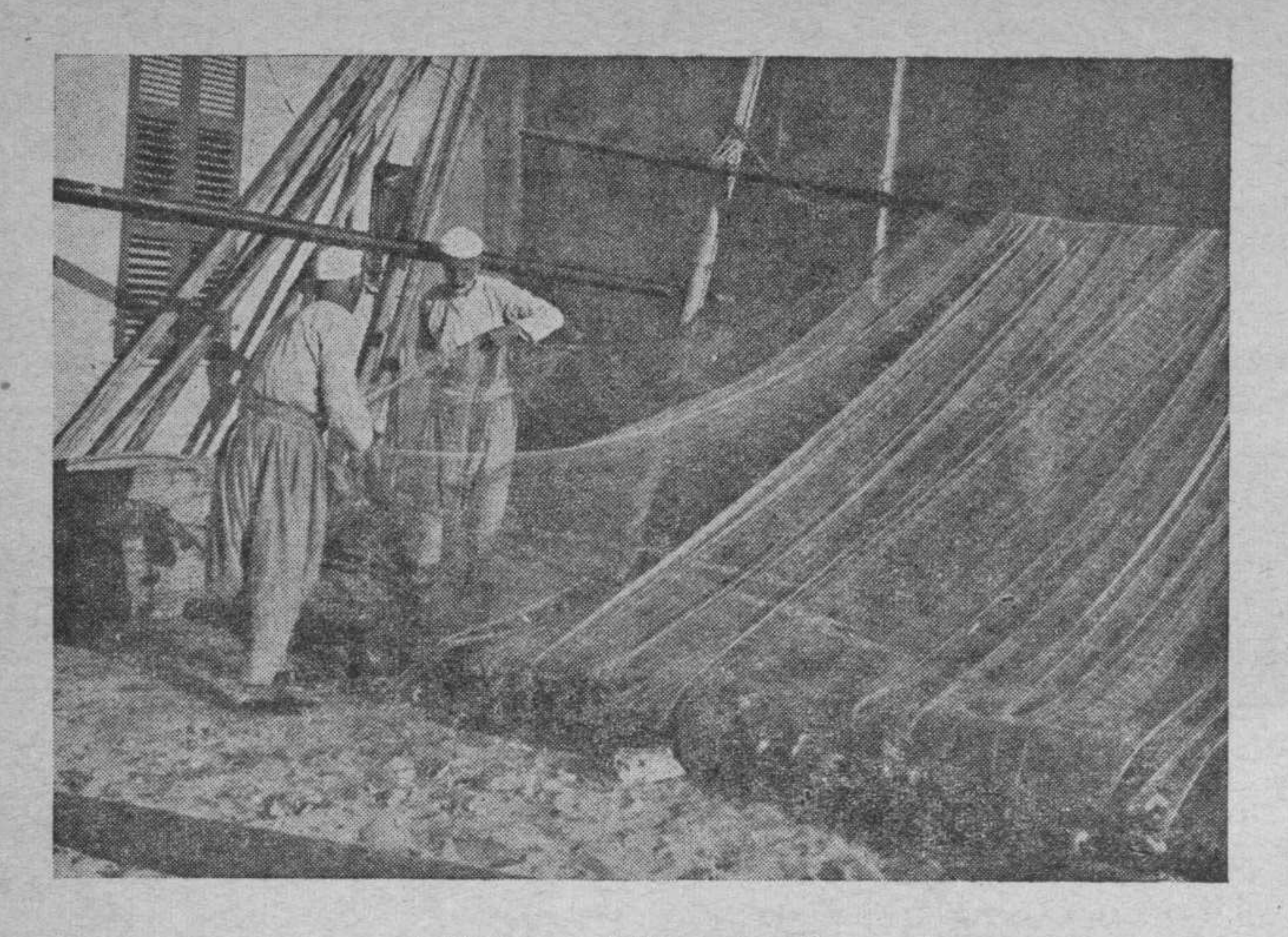
أما الطريقة الثانية التى تتبعها الحكومة لحماية الاسماك من الانقراض فهى القضاء على طريقة الصيد بواسطة المواد المتفجرة ، ذلك أن استعمال المواد المتفجرة طريقة عقيمة سيئة. تنطوى على شر كبير ، ولولا قصر النظر عند بعض الصيادين لعرفوا ما تنطوى عليه من ضرر. فان استعمال الالغام في الصيد يمكن الصيادين من الحصول على بعض الاسماك الصالحة للاكل ، من كبير وصغير ، ولكنها في الوقت نفسه تقتل مقادير كبيرة من الاسماك الصغيرة والاسماك التى لم يمض على تفقيسها الا وقت قصير ، وهذه أسماك لا يمكن جمعها ، ولا عرضها في الاسواق. وضياع هذه المقادير الكبيرة من الاسماك الصغيرة عبثا ، معناه انقاص عدد الاسماك الصغيرة التى يستطيع هؤلاء الصيادون اصطيادها ، والارتزاق منها بعد أن تكبر.

وبالاضافة الى فساد طريقة صيد السمك بواسطة الالغام ، بسبب ما لها من التأثير في مستقبل هذه الصناعة ، وانقاصها المقادير التى تتوفر للصيد في المستقبل ، فاتباع هذه الطريقة محفوف بالمخاطر ، اذ لا يكاد ينقضى عام واحد الا ويفقد فيه عدد من





صياد ينظر في الماء ليتأكد من وجود السمك بواسطة منظار خاص — وفي الصورة اليسرى نوع من هذا المنظار



تجفيف شبكة المبطن وشبكة التحويق في الطنطورة



الصيادين حياتهم ، أو بعض أعضاء أجسادهم ، من يد أو عين أو ذراع. ومن أمثلة ذلك أن في احدى القرى الساحلية اثنى عشر شخصا شوهوا أجسادهم بايديهم ، وفيها جد وابنه وحفيده ، فقد كل منهم يديه ، بسبب اتباعهم طريقة استخدام الالغام في الصيد .



قارب صيد «مبطن» يعود بنصيب مختلف الانواع من السمك



الدكتور ج. س. ل. برترام كبير مأموري مصايد الاسماك ، كاتب هذا المقال يتحدث الى السيد فريد جبور مأمور مصايد القضاء

السينما المتجولة

في شرق الاردن

أقامت السينما المتجولة في أمارة شرقي الاردن اسبوعين أحيت خلالهما حفلات ناجحة في السلط واربد والرمثا وجرش ومأدبا. وكان بود المشرفين عليها أن يقيموا حفلات أخرى في الكرك ومعان وغيرها من المدن ولكنهم اضطروا الى الغاء برنامجهم على أن يستأنفوه في وقت آخر. ويسر مندوب هذه المجلة أن ينوه بالمساعدة القيمة التي أداها معالي سمير بك الرفاعي وزير الداخلية للمسؤولين عن سيارة السينما كما أنه لا بد من الثناء على الجهود التي كان يبذلها المتصرفون والقائمقامون وقواد الدرك ورؤساء البلديات في سبيل انجاح هذه الحفلات.

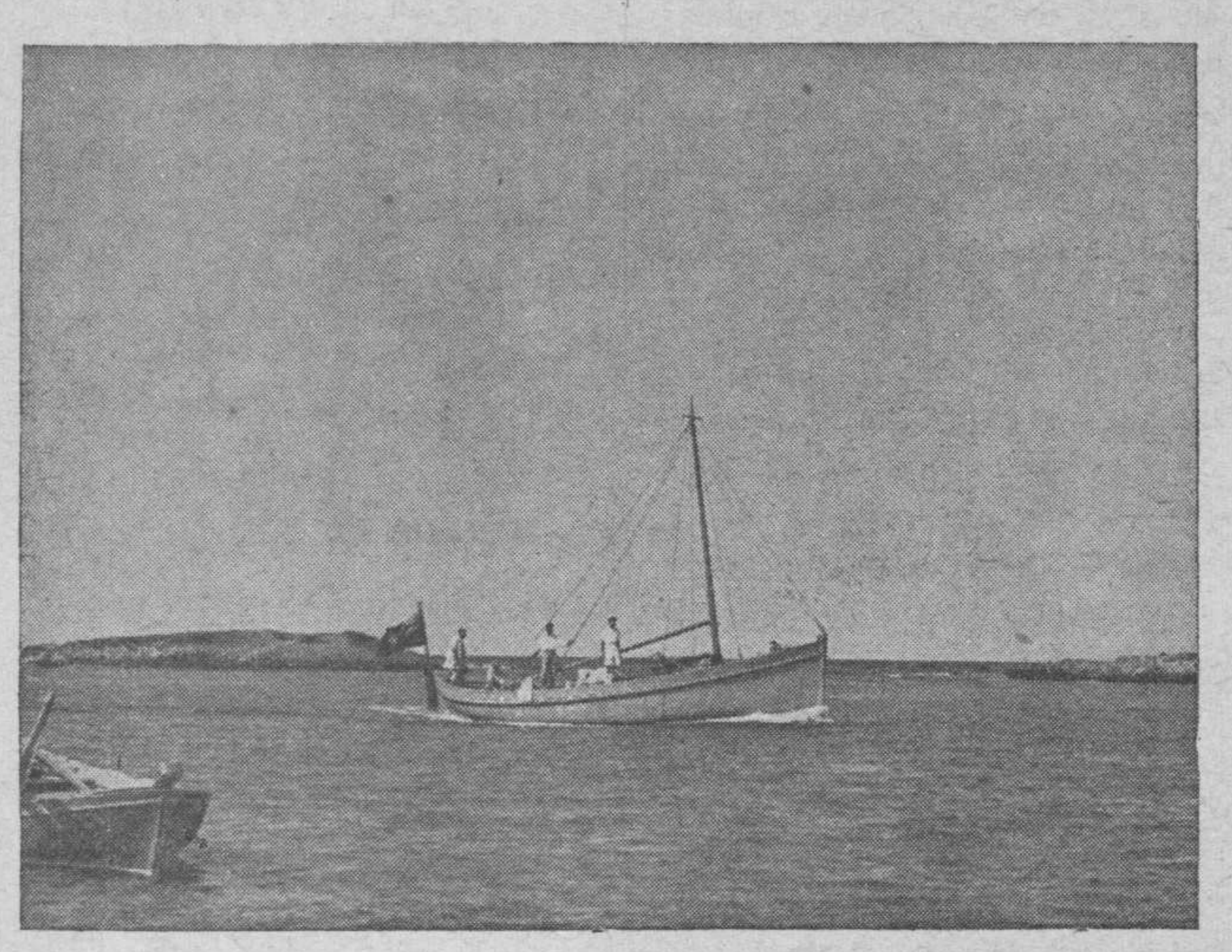
وقد أقيمت أولى الحفلات في مدينة السلط وحضرها حوالى ستة آلاف شخص. ومن طريف ما سمعناه سؤال فتى لنا بقوله ... هل ستتدخلوننا الى السيارة واحدا واحدا ؟ وسؤال آخر ... هذه سيارة فأين السينما ؟.

وأقيمت بعد ذلك حفلة في اربد ، حيث كان يقيم صاحب السمو الملكي الامير عبد الله لبضعة أيام. ومما نفخر بذكره في هذا المقام أن سموه تلطف وحضر هذه الحفلة ، فكان ذلك منه شرفا كبيرا لنا ستخلده في صدورنا الايام وستذكره مدينة اربد على الدوام.

ثم أقيمت حفلة في مدينة الرمثا الواقعة بالقرب من الحدود السورية. ولم يبق أحد في تلك المدينة الصغيرة الا وحضر الحفلة ورجع الى بيته متأثرا بالمناظر التى شاهدها. ويقيم في الرمثا ناصر باشا الفواز شيخ مشايخها وكان من حسن حظنا أننا اجتمعنا في تلك المدينة الصغيرة بالشيخ تركى المفلح من مشايخ بنى صخر ومن الرجال القلائل الذين رافقوا لورنس طيلة أيام الحرب الماضية. ولقد حدثنا الشيء الكثير عن تلك الايام المجيدة الحافلة بالذكريات الخالدة.

وأخيرا أقيمت حفلة في جرش وأخرى في مأدبا كانتا حسن الختام. ولقد اتاحت لنا هذه الحفلات زيارة بلاد الامارة والتعرف على عدد كبير من رجالاتها وزعمائها. ونأسف لعدم استطاعتنا ذكر أسمائهم جميعا ولكننا سنذكر لطفهم وفضلهم على الدوام. ولن ننسى ذلك الكرم الذى كنا نقابل به انى نزلنا وحيث حللنا.

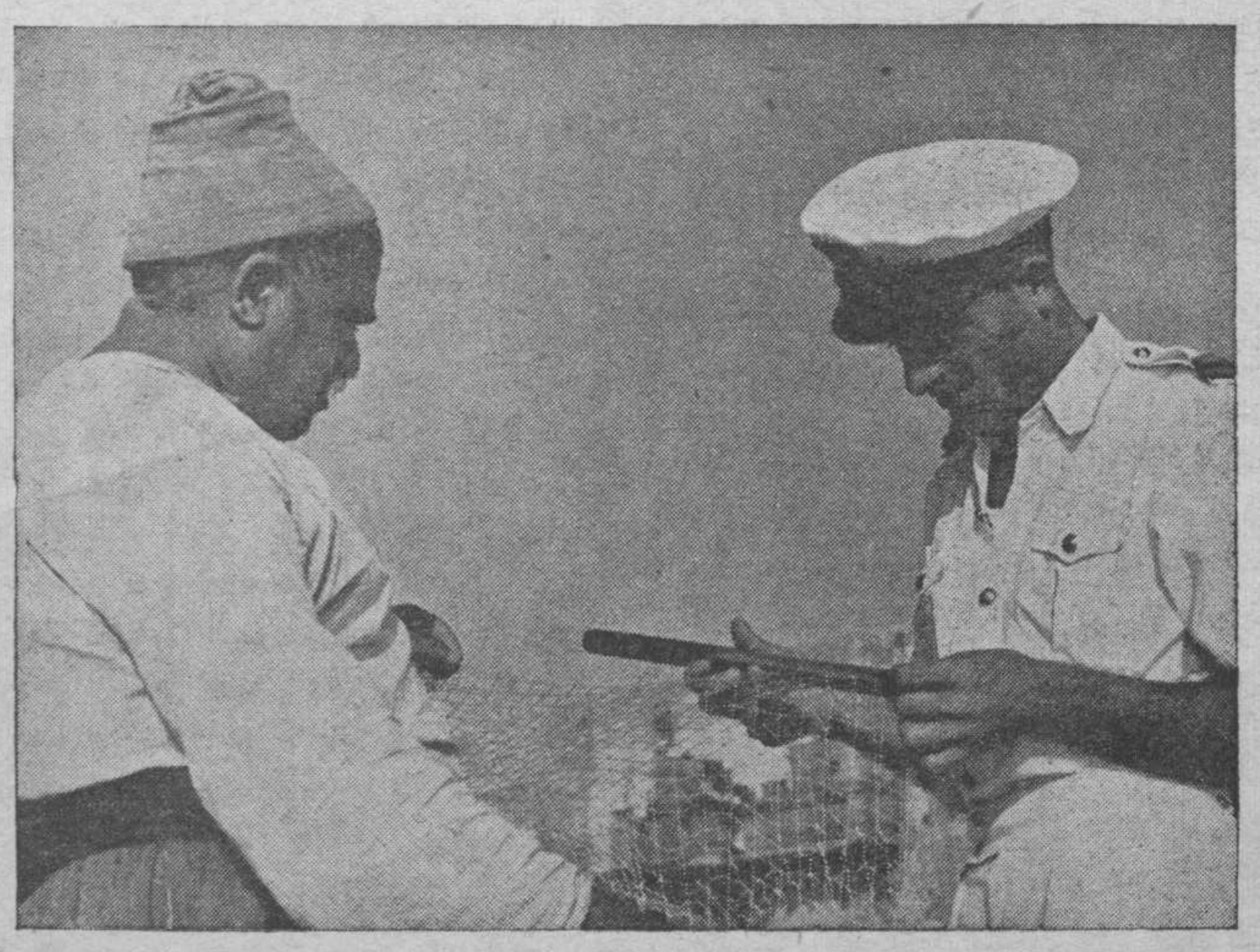
واننا نتطلع الى زيارة تلك البلاد مرة أخرى وعرض أحدث ما نحصل عليه من أفلام حربية وزراعية وغنائية.



قارب الحكومة المستعمل لارشاد الصيادين الى خير طرق صيد السمك



مأمور مصايد القضاء يفحص الاسماك حتى لا تكون اصطيدت بالالغام



موظف صيد الاسماك يفحص عيون الشبكة لكى يتأكد أنها لا تصيد السمك الصغير

حجة الاسلام الغزالي

للاستاذ سعيد العيسى

أول ما يجب أن أنص عليه في مستهل الحلقة الاولى من سلسلة هذه الاحاديث عن (حجة الاسلام) ان اسمه الصحيح هو «الغزالى» بتشديد الزاى وانجامها والنسبة الى الاسم كله. وهو منسوب في ذلك الى صناعة أبيه ، وقد كان يغزل الصوف ويبيعه في دكانه «بطوس» وليس الى (الغزال) كما يتوهم البعض خطأ . وأبياته الثلاثة الشهيرة الى حقيقة اشتقاق اسمه من (الغزال) فهو يقول :

تركت هوى ليلى وسعدى بمعزل
وعدت الى مصحوب أول منزل

ونادت لى الاشواق مهلا فهذه
منازل من تهوى رويدك فانزل

غزلت لهم غزلا دقيقا فلم أجد
لغزلى نساجا فكسرت مغزلى

ونسبة المرء في تسميته الى مهنته أو مهنة أبيه أو جده شائعة في تاريخ الادب العربي كان لا بد أن يجرى عليها بعض أعلامه . كعمر الخيام ، وابن عبدان السقاء (وهو الشاعر أبو الطيب المتنبي) وابن الساعاتى وابن الصائغ وكثيرين غيرهم.

ولقد أثرنا التحدث عن أبي حامد حجة الاسلام في هذا الشهر خاصة شهر الصوم المبارك لنوجه النفوس وقد برأت بصومها من الشوائب وخلصت ، وسمت بجوهرها وارتفعت ، الى هذا الرجل الذى أوقف حياته على خدمة الدين يوم كادت تزعزعه عناصر الفلسفات الجديدة التى تطرقت اليه . فوقف دونه يناقش طرق المتكلمين والفلاسفة والباطنية والصوفية . أجل لقد أثرنا التحدث عن أبي حامد الغزالي في هذا الشهر خاصة لمجرد انه مؤلف (احياء علوم الدين) الذى يشار اليه (بالاحياء) لشهرته و«تهافت الفلاسفة» و «مقاصد الفلاسفة» و «المنقذ من الضلال» ، وتصانيف ومؤلفات أخرى تربو في عددها على المائتين لا تخرج كلها عن دائرة الدين، والوقوف في وجه أعداء الدين والدفاع عن الدين ، مع أبحاث في فقه الدين عميقة قد نلم في هذه الاحاديث باطرافها الماماً خشية من التعمق فالزلل فالغرق... ولا تزال جملة صالحة منها ، بعضها مطبوع والآخر مخطوط ، محفوظة الى الان موزعة في المكاتب ودور الكتب هنا وهناك — في مكاتب باريس وأوكسفورد والاسكوريال واوبسال والبندقية ودار التحف العربية بالقاهرة ولا تزال مقلمته محفوظة الى اليوم في الاخيرة. على أن عددا كبيرا من هذه المؤلفات قد فقد ولم يبق منها الا أسماؤها.

وبعد فقد ولد الامام أبو حامد محمد بن محمد بن محمد بن أحمد الغزالى في سنة (٤٥٠ هـ . — ١٠٥٩ م.) بمدينة طوس في خراسان ولما حضرت اباه الوفاة دعا صديقا له متصوفا من أهل الخير وقال له : «ان لى لاسفا عظيما على جهلى الخط ، وأشتهى استدراك ما فاتنى في ولدىّ هذين — أبي حامد وأحمد — فعلمهما وما عليك أن ينفد في ذلك جميع ما أخلفه لهما»

فلما نفد ذلك النزر اليسير الذى كان قد خلفه لهما أبوهما ، تعذر على ذلك الصوفي ايواؤهما والقيام بقوتهما ، فاعتذر لهما وتعلل بفقره وعدمه ونصح لهما باللجوء الى مدرسة كأنهما من طلبة العلم فيحصل لهما قوت يعينهما على وقتهما . ففعلا ذلك ومن أقوال أبي حامد المأثورة يوم ذاك : «طلبنا العلم لغير الله فأبى أن يكون الا لله».

قرأ الغزالى في صباه طرفا من الفقه ببلده على أحمد بن محمد الراذكاني. ثم سافر الى جرجان ليأخذ عن امامها أبي نصر الاسماعيلي . فحضر مجالس تعليمه وعلق عنه «التعليقة» — على حد تعبيره — (أي دون من أقواله كتبا كان يضعها في مخلاة ويعلقها في سرج دابته). قال أبو حامد : فبينا أنا في طريق الى طوس اذ قطعت علينا الطريق وأخذ العيارون جميع ما معى ومضوا . فتبعتهم فالتفت الى مقدمهم وقال : أرجع ويحك والا هلكت فقلت له : أسألك بالذى ترجو السلامة منه أن ترد علي تعليقتى فقط ، فما هى شئ تنتفعون به. فقال لى ما هى تعليقتك ؟ فقلت : كتب في تلك المخلاة هاجرت لسماعها وكتابتها ومعرفة علمها . فضحك وقال ؟ كيف تدعى انك عرفت علمها وقد أخذناها منك فتجردت من معرفتها وبقيت بلا علم ؟ ثم أمر بعض أصحابه فسلم الى المخلاة فقلت هذا مستنطق أنطقه الله ليرشدني به في أمرى . فلما وافيت طوس ، أقبلت على الاشتغال ثلاث سنين حتى حفظت جميع ما علقته وصرت بحيث لو قطع على الطريق لم أتجرد من علمى»

ثم وفد بعد ذلك على «نيسابور» للتبحر في علم الكلام على أحد كبار الصوفيين (امام الحرمين) فلازمه ملازمة وثيقة ودرس عليه المذاهب واختلافاتها وتعلم الجدل والمنطق ودرس الفلسفة وبدأ منذ ذلك الوقت في الكتابة والتأليف . وربما كانت نشأة شكوكه في العلم هنالك أيضا . وبعد موت (امام الحرمين) سنة (١٠٨٥ م.) خرج الغزالى قاصدا وزير السلجوقيين نظام الملك في بغداد . نعهد اليه نظام الملك بالتدريس في المدرسة النظامية حيث نال شهرة واسعة وجاها عظيما.

وفي بغداد أكب الغزالى على درس الفلسفة درسا عميقا وقد بلغت به شكوكه يومئذ درجة جعلته يعتزل التدريس ويترك الاهل والولد والمال . وفي هذه الاثناء أصيب بمرض شديد قطع عنه كل أمل في الحياة وكان في أثناء مرضه كثير التأمل والتفكير ، فلم يستقر رأيه على رفض ما ناله من جاه وتقدم وشهرة الا بعد تردد طويل ومجاهدات نفسية عنيفة . وقد أخذ نفسه بأنواع الرياضات الروحية القاسية حتى خلص جوهر نفسه وصفا . فلما ابل استتاب أخاه في التدريس بالمدرسة النظامية وشد رحال السفر قاصدا الحج الى بيت الله الحرام سنة ٤٨٨ هـ. فظل مدة عشر سنوات تائها يتنقل في زى الفقراء من دمشق الى القدس الى مصر الى الاسكندرية ، وكان يقضى كل أوقاته في العبادة معتكفا زاهدا ، يجاهد نفسه ويقهرها ، يجول في البلدان ويزور المساجد ويطوف بالمشاهد ويتزوى في المغارات ويتعرض لانواع المشاق والمحن . واعتكف مدة في زاويته في الجامع الاموى في دمشق وقد صارت تعرف بالغزالية فيما بعد نسبة اليه . واعتكف كذلك في الصخرة المشرفة في الحرم الشريف هنا في بيت المقدس ، كما يشير الى ذلك ، ولا تزال الزاوية التى كان يطلب الخلوة فيها ويعتكف ويغلق بابها على نفسه عامرة مائلة الى العيان حتى اليوم.

ثم انتهى الغزالى من هذه الرحلة بعد أن عزم على الدعوة الى الاصلاح عن طريق العمل . فعاد الى بغداد ودرّس مدة بالمدرسة النظامية ، ثم رحل عنها الى موطنه (طوس) واتخذ الى جانب داره مدرسة للفقهاء ، (وخانقاه) للصوفية ووزع أوقاته على وظائف من ختم القرآن ومجالسة أرباب القلوب والتدريس لطلبة العلم وادامة الصلاة والصيام وسائر العبادات ، واشتغل في أثناء اقامته (بطوس) في تصنيف أعظم مؤلفاته . وأجلها فائدة ، وهو كتاب (احياء علوم الدين) الذى كان قد أعد مادته خلال تطوافه في رحلته وسنتحدث عن أهمية هذا الكتاب الجليل في حديث يتلو . وقد بقى منقطعا الى ذلك كله حتى وافته المنية في موطنه (طوس) سنة خمس وخمسمائة للهجرة — سنة ١١١١ م.

وللغزالى عند مستشرقى الغرب وعلمائه منزلة رفيعة . وهم يضعونه مع ابن سينا وابن رشد في المقام الاول بين فلاسفة الشرق . أما الروحيون بينهم فيحسبونه أنبل وأسمى فكرة ظهرت في الاسلام قال الكاتب جبران خليل جبران . من مقال له فيه : (ومن الغرائب اننى شاهدت على جدران كنيسة في فلورنسا (ايطاليا) من بناء الجيل الخامس عشر صورة للغزالى بين صور غيره من الفلاسفة والقديسين واللاهوتيين الذين تعتبرهم أئمة الكنيسة في الاجيال الوسطى دعائم وأعمدة في هيكل الروح المطلق).

روى مدون سيرته في مقدمة كتاب (الاحياء) قال : كان في ثغر الاسكندرية من مدة قريبة أدركها

أشياخنا شخص يبغض الغزالى ويغتابه ، فرأى النبي صلى الله عليه وسلم وابا بكر وعمر رضى الله عنهما الى جانبه وكان الغزالى واقفا بين يديه وهو يقول : يا رسول الله هذا متكلم فيّ ويؤذيني . فقال النبي هاتوا السياط . وأمر به فضرب بين يديه وهب هذا الرجل من نومه وأثر السياط على ظهره .

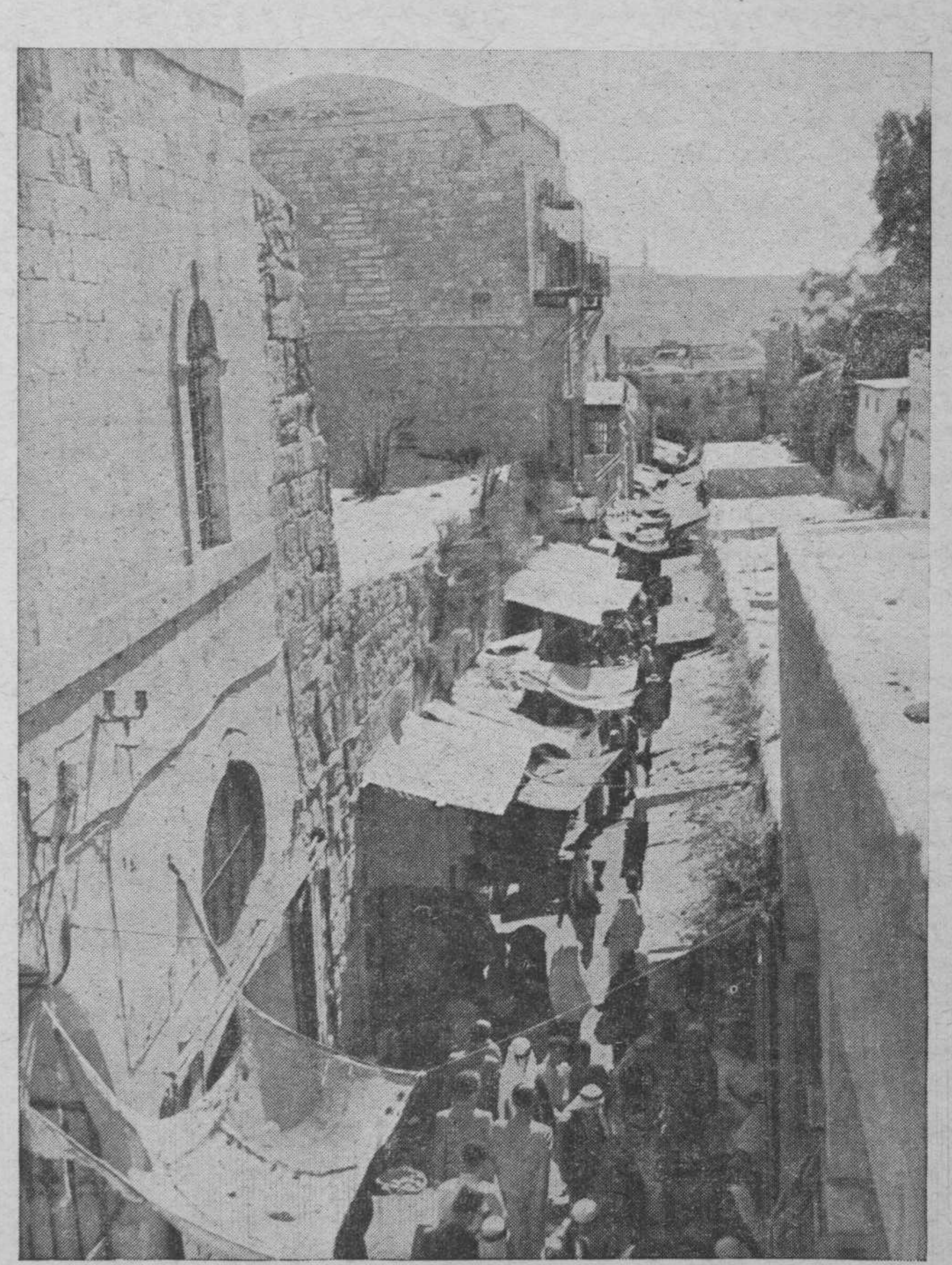
ولعلها من مبالغات القوم وغلوهم لاظهار مكانة الغزالى وأهميته في الدين . وهى ان دلت على شيء انما تدل على ما كان لهذا الرجل من كرامة في نفوس القوم أعله اليها نضاله الشريف المتواصل عن الدين : ووقوفه في وجه خصومه وأعدائه من رجال السفسطة والفلسفة .

تقدم العراق

في مضمار الحضارة

ما برح العراق يخطو خطواته الواسعة الحثيثة في حقل النهضة العامة . فالجهود التى بذلها منذ فجر نهضته أى منذ ربع قرن حتى اليوم قد أثبتت للعالم أجمع ان هذه الدولة الفتية قادرة على استرجاع مكانتها السامية بين الدول بل على أن تتبوأ المكانة الثانية بين دول الشرق الاوسط . والعراق لما انسلخ عن الدولة العثمانية بعد الحرب الكبرى الماضية لم يكن فيه اذ ذاك من عناصر النهضة ما يكفى أمره لانه كان متأخرا كثيرا في جميع نواحى الحياة. ولما تألفت الحكومة الوطنية أخذ رجالها يعملون دائبين لتركيز حياة البلاد على أسس ثابتة. حتى أصبح العراق قطرا له مكانته ومنزلته بين الدول ولم يبرح يسير الى الامام وغدا العراق القديم عراقا حديثا وفيه من صور الرقى والعمران ما يجعله شبيها بقطر أوروبي فازدهر فيه الفن المعمارى الحديث فشيدت القصور والبيوت على الطراز العصرى كما في أوروبا والاجزاء الراقية من آسيا وعم الاصلاح جميع مرافق الحياة ونشأ التقدم في الحضارة في كل الانحاء وغدا العراق بلادا مرتبطة الاجزاء والاطراف شماله مربوط بجنوبه وشرقه بغربه وذلك بفضل السكك الحديدية وطرق السيارات المعبدة حتى في الاماكن الجبلية الوعرة حيث شقت الانفاق وعقدت الجسور فوق الاودية والوهاد وراحت السيارات ترتاد جميع المناطق وتجوب مختلف الجهات وقامت الى جانب السكك الحديدية وطرق السيارات الطرق النهرية التى بعثت في العراق نشاطا تجاريا واقتصاديا مما ساعد في ارتقاء الزراعة من جهة وتنمية أسباب التجارة من جهة أخرى ، فضلا عن أن ذلك قوى روح الوحدة المعنوية والصلات الاجتماعية العامة في العراق فنشأ عن كل هذا تقارب المزاج في الامة الواحدة. واننا نشاهد اليوم في هذه النهضة المباركة دعائم قوية طالما كانت في قديم الازمان أساس كيان العراق التاريخى وسبب خطوته السياسية والعلمية والاقتصادية والادبية وهذه الدعامات الحديثة هى احياء مشاريع الرى والاكثار منها اكثارا يتناسب وطبيعة البلاد الجيولوجية التى يمتاز بها العراق عن غيره من الاقطار العربية . فسبب ازدهار العراق في القديم هو الانهار والسدود وطرق الرى وعلى مثل هذا تقوم نهضة العراق الحاضرة وقد بنيت هذه المشاريع على الطرق الحديثة

فمشروع سدة الكوت والحبانية وأبى غريب والحويجة كلها من المشاريع التى من شأنها أن تجعل العراق قطرا زراعيا عظيما ينتج أعظم الحاصلات الزراعية المتنوعة مما يساعد في ايجاد المعامل والمصانع العظيمة وانتاج كل ما يمكن استخراجه من المواد الزراعية كالسكر والورق والعقاقير الطبية والمنسوجات الحريرية والقطنية فضلا عن الادوات الميكانيكية المصنوعة من المواد المعدنية. وهناك مشاريع أخرى تأتى بالدرجة الثانية منها مشروع سدة ديالى الثابت وغيره مما لا يزال قيد الدرس والتمحيص ومن دعامات النهضة العراقية في العمارة ما شيدته من مبان فخمة كدور الحكومة للمعارف والمالية والرى والزراعة والبريد والاشغال في جميع أنحاء القطر بعد أن كان العراق قبل هذه النهضة لا يملك الا القليل منها باقيا من عهد الدولة العثمانية وربطت أجزاء المملكة بشبكة من التلفونات الاوتوماتيكية والعادية واللاسلكية مما تراه في كل مدينة وناحية أو قضاء وأما المدن الكبرى فقد ارتبطت بالعالم الخارجى ارتباطا لاسلكيا وتلفونيا وقد نجم عن هذا التقدم السريع كثير من الحالات الفنية التى تشاهد في العاصمة وفي المدن



سويقة علون في مدينة القدس القديمة

الرئيسية كالبصرة والموصل فالحدائق فيها جميلة وشائعة والشوارع طويلة ومنظمة ومرافق الحياة الفنية مستكملة حتى أن بعض جهات العاصمة أصبح اوربيا لا فرق بينه وبين المدن الاوربية ان لم تميز عنها ببعض المناظر الشرقية الجميلة وقد حليت هذه الناحية بالتحف الاثرية التي تضم كنوز العراق الدفينة وتعرب عن نهضته القديمة في سالف الجيال وقد أصبحت هذه المتاحف قبلة أنظار السياح والرواد من جميع الامصار.

أما الناحية العلمية فقد برز فيها العراق تبريزا نوهت به الصحافة الاجنبية. فبعد أن كان العراق وليس فيه من المدارس الا القليل وهو ناقص من جميع الوجوه أصبح اليوم وفيه كثير من المدارس الابتدائية والثانوية والكليات التي تخرج جميعهم سنويا الوفا من الشبان المثقفين في جميع نواحي الحياة فضلا عن مدرسة دار المعلمين والمعلمات والطب والصيدلية والهندسة والصناعة وما تخرجه من المثقفين ثقافة عالية في التخصص وبفضل هذه النهضة في المعارف أصبح معدل المتعلمين يقرب من ٢٠ بالمئة بعد أن كان لا يجاوز ٤ــ٥ ٠/٠ والتعليم العالى مشترك بين الجنسين وبذا فقد استطاع العراق أن يخرج الى ميدان الثقافة عددا من الطبيبات والمحاميات هذا بالاضافة الى النهضة العسكرية التي أوجدت للبلاد جيشا قوامه الجنود والضباط المثقفون وقواد وطيارون يتقنون جميع الفروع العسكرية. وبسبب هذا التقدم العلمى باتت الثقافة عامة منتشرة في جميع الالوية تسندها المكتبات العامة وقاعات المطالعة وكانت معدومة قبل هذه النهضة أى في الدور العثمانى.

وليست الحالة الصحية بأقل نهوضا من الحالة العلمية فالمستشفيات والمؤسسات الصحية في العراق عديدة تساهم في تشييد العمران العام وكوفحت الامراض التي كانت تفتك بالناس من قبل فتكا شديدا وهناك مشاريع أخرى تتعلق بالصحة ستحقق في المستقبل القريب وفي تحقيقها يكون العراق قد استغنى عن المصحات الصحية في البلاد المجاورة وذلك على أثر تهيء المناطق التي تساعد على ذلك.

وباستغلال النفط العراقى استفاد العراق استفادة عظيمة وأصبح العراق بفضل هذا الاستغلال مركزا عظيما في الشرق الاوسط والادنى والى جانب هذا التقدم السريع فان العراق أخذ على نفسه الوصول الى الاهداف السياسية التي تسير وفق الدستور القومى الذى وضعه بانى مجد العراق المرحوم صاحب الجلالة الملك فيصل الاول ، وقد كان للعراق في حقل السياسة العربية مكانة الزعامة.

شوقي

ذكراه بمناسبة مرور العام التاسع على وفاته

مات شوقى بعد ما ملأ الدنيا وشغل الناس ، وغاب الجسم المهدم عن الابصار وبقيت لنا خلجات نفسه ونزعات حسه مصوّرة في أروع صورة وأفتن منظر ، وانها وايم الحق لتراث ضخم ، واقفر الروض ولكنّ اشعاره ستعطر اردان الافق دائما وابدا.

وشوقى في شعره موضوع مترامى الاطراف موزع النواحى وسنجمل منها ، هذه النواحى الثلاث

أولا : الاسلامية في شعر شوقى :

لعلنا لا نبالغ اذا قلنا ان الاسلامية هى التى أخذت بيد شوقى وكانت له أكبر عون على تبوء هذا المركز الذى ترمقه كل عين ويلتفت اليه كل قلب. ولا أعنى بقولى هذا! أن الروح الاسلامى وحده هو الذى ناوله اللواء بل أن الادب الاسلامى الذى يشرق في شعره سحر الالباب وأنجده وأيّده ، وكم تستهوى نفسك هذه اللمحات والحوادث الاسلامية في أرجاء شعره تكلمك من بين السطور والملك الاسلامى يكاد يسارك فتلمس الجلال وترى الامجاد.

هذه العاطفة المنبثقة هى العلاقة القوية بين شوقى والاقطار الاسلامية العربية :

يؤلف ايلام الحوادث بيننا
ويجمعنا في الله دين ومذهب

وكانت القصيدة تلمع فتتخطفها الابصار وتظهر فيطير بها الركبان فينطبع على جنبات أفق الغوطتين قوله :

مررت بالمسجد المحزون أسأله
هل في المصلى أو المحراب مروان

تغير المسجد المحزون واختلفت
على المنابر أحرار وعبدان

فلا الاذان أذان في منارته
اذا تعالى ولا الآذان آذان

ويثير ماضى الحمراء قوله :

لهف نفسى على ثرى قرطبيّ
لست فيه عبرة الدهر خمسى

مشت الحادثات في غرف الحم
راء مشى النعى في يوم عرس

ثم انفجر هذا المعين والتهب الاحساس واتسع الافق :

ونحن في الشرق والفصحى بنو رحم
ونحن في الجرح والآلام اخوان

. . .

كان شعرى الغناء في فرح الشرق
وكان العزاء في أحزانه

ثانياً : الحياة في شعر شوقى :

أقبلت الحياة على شوقى بوجه ضاحك القسمات طلق فلقيها ضاحكا جذلان وتلك فطرته :

فطرتى لا آخذ القلب بها
خلق الشاعر سمحا طربا

تنقل من نعيم الى نعيم وأشرقت حياته وأزهرت آماله، فظهر شعره ناعما باسما وكيف تتطلب أن يسمعنا الشعر الباكى الحزين وقلبه فياض بالاحلام هانىء بتحقيقها ، ولم تتحكم الايام لتشجينا الانغام.

أحبّ الحياة شوقى وأطلق العنان لقلبه وهو يسحب برد الشباب القشيب وغصن الصبا رطيب ، فذاق الحلو الخالص منها واللذة المصطفاة ولما طوى برده وشيع عهده ارتمى بالجسم المهدم والهيكل المحطم يدعو الشباب فلا يجاب وهناك انبثق الحنين.

الحنين الى الشباب والى الماضى في شعر شوقى أروع حنين في أبدع شعر ، حيث يستسلم الشاعر الى عاطفته وحدها ولا حاكم ولا سلطان ولا قصر ولا ايوان ، يتكلم قلبه بما يشعر ويحس به وحسبك بشوقى شاعرا حساسا لتسمو هذه الناحية اللامعة ، يرى شوقى الشباب الناشىء يقبل على الانتحار وبضربة حمقاء يقضى على ريّق العمر فيصيح وهو الذى يذوب حنينا الى الماضى وفجر الحياة.

غفر الله له ما ضرّه
لو قضى من لذة العيش الوطر

لم يمتّع من صبا أيامه
ولياليه أصيل أو سحر

تمنى الشيخ منه ساعة
بحجاب السمع أو نور البصر

ليس في الجنة ما يشبهه
خفة في الظل أو طيب قصر

فصبا الخلد كثير دائم
وصبا الدنيا عزيز مختصر

واذا تذكر أيام الدرس وصحبة المكتب لمح من وراء الايام شبح الصبوة وظل الفتوة فحنّ وأنّ وقال :

الا حبذا صحبة المكتب
وأحبب بأيامه أحبب

ويا حبذا صبية يمرحون
عنان الحياة عليهم صبى

كأنهم بسمات الحياة
وأنفاس ريحانها الطيب

ويلتفت الى قلبه الذى كان يشكو خفوقه فيقول :

لقد كنت أشكو من خفوقك دائبا
فولى فوالهفى على الخفقان

أو يخاطبه :

كنت الشباك وكان صيدا للصبى
ما تسترق من الظباء وتعتق
خدعت حبائلك الملاح هنيهة
واليوم كل حباله لا تعلق

ثم أسمعه بعد ما شيّع أحلامه بقلب باك ولمّ شباكه من طرق الملاح تدوى صيحته :

لم تبق منا يا فؤاد بقية
لفتوة أو فضلة لعراك
كنا اذا صفقت نستبق الهوى
ونشد شدّ العصبة الفتاك
واليوم تبعث فيّ حين تهزنى
ما يبعث الناقوس في النساك

واذا عاد الى وطنه بعد الغياب وأراد أن يصف شدة الفرح بلقائه لم يجد غير لقيا الشباب :

ويا وطنى لقيتك بعد يأس
كأنى قد لقيت بك الشبابا

وكم تحز في قلبه فكرة الشيب فيقف على ندب الشباب ويشجيه أن لا يستوى شباب الجسم وشباب القلب.

الرشد أجمل سيرة يا أحمد
ود الغوانى من شبابك أبعد
قد كان فيك لودهنّ بقية
واليوم أوشكت البقية تنفد
لما سمعنك قلن شعرا أمردا
يا ليت قائله الطرير الامرد
أإذا وجدت الغيد ألهاك الهوى
واذا وجدت الشعر عزّ الاغيد

ثالثاً : الطبيعة في شعر شوقى :

الطبيعة مهد الشاعر تحنو عليه حادبة فيهما عاطفته ونجواه لذلك أحبّها شوقى وأخلص لها، هذا الرجل القلق المضطرب الذى لا يستقر على حال. وزاد شغفه بها تنقله في أرجاء المعمور فطبعت ألوانها الفاتنة في خاطره فنقلها الى شعره جذابة ساحرة وألبسها من شعوره بهذا الحسن وأحساسه بروعة الفتنة ما زاد هذه الالوان سحرا وجمالا. رأى حسن الطبيعة مجسما في الربيع وأزهاره والروض وأنهاره والبدر وأنواره فألهب كل ذلك عاطفته وتعلق بالربيعين ربيع الحياة وربيع الطبيعة :

مرحبا بالربيع في ريعانه
وبأنواره وطيب زمانه
زفت الارض في مواكب آذار
وشبّ الزمان في مهرجانه
وشدت في الربى الرياحين همسا
كتغنى الطروب في وجدانه
كل ريحانة بلحن كعرس
ألفت للغناء شتى قيانه
نغم في السماء والارض شتى
من معانى الربيع أو ألحانه

ترعرع في ظلال الاستانه وتمتع بذلك الرواء والسحر فغنى بلسان الطبيعة هناك وتنقل في ربوع الاندلس تهيج مشاعره الذكريات وفي باريس اجتلى من وجه الطبيعة كل ناحية تحيّر منها ماء الحسن. ومال الى لبنان والشام فاثرت الطبيعة في خاطره كما أثرت فيه الطبيعة في كل مكان جميل.

فهو في الآستانه وباريس والاندلس ولبنان والشام وفي كل مكان يمثل لك قوة الاحساس بجمال الطبيعة وصدق عاطفته لها حتى انه ليكسو هذه الربوع غلالة نورانية من شعره فتتمثل في الخواطر وترقص في الاحلام.

هذه ثلاث نواح واضحة من شعر أمير الشعراء نقولها بمناسبة ذكراه التاسعة أما نواحي شعره العديدة فيعجز حصرها ويصعب تحديدها وهل يستطيع أحد أن يلم بتلك الشاعرية العجيبة التى أعادت الشعر العربى ناضر القلب وارف الظل ، تلك الشاعرية التى هى أعجوبة الاعاجيب.

النحلة

للاستاذ احمد القاسم

بحثنا فيما سبق عن النحلة كحشرة اجتماعية راقية تعيش وفقا لانظمة مضبوطة وقوانين دقيقة. وسنبحث في هذا المقال عن النحلة كحشرة اقتصادية تدر علينا العسل الذى فيه شفاء للناس ويعتبر من أشهى الاطعمة. ولتسهيل البحث ووضعه بصورة عملية تفيد من يشتغل في تربية النحل ، نقسم سنة النحال الى الفصول التالية ونذكر الاعمال التى يجب اجراؤها في كل فصل

١) فصل الخريف : واجب النحال الاول في هذا الفصل أن يتأكد من وجود مقادير من العسل المخزون في كل قفير تكفى مؤونة الشتاء ويعتبر وجود ثلاثة أقراص ونصف القرص من الشمع ملأى بالعسل كافيا لهذا الغرض. واذا كان مقدار العسل في القفير أقل مما ذكر فيطعم النحل سكرا مذابا بالماء بنسبة ٦٠ جزءا من السكر و٤٠ جزءا من الماء ويستمر على اطعامه حتى يصنع النحل مقدار العسل اللازم ، ومن المهم أن يتم الاطعام بسرعة وأن يصنع النحل العسل بسرعة أيضا

وواجب النحال الثانى في هذا الفصل هو أن يتأكد من عدم وجود شقوق وثقوب في صناديق القفران وأن يصلح ما يجد فيها من الخلل. وان يقفل الفتحة المستطيلة التى تكون في غطاء الصندوق الداخلى وأن يكون مدخل القفير ضيقا. وعليه أن يرفع الاطارات الفارغة من العسل وصفار النحل ويحفظها في المخزن

٢) فصل الشتاء : عمل النحال في هذا الفصل محدود جدا اذا كان متأكدا من أن النحل مجهز بالغذاء الكافى ومحفوظ في مكان دافىء ولهذا لا يستحسن فتح القفران وتعريض نحلها للبرد الا اذا مست الحاجة لذلك

٣) فصل الربيع : قبل موعد تفتح الازهار بنحو خمسين يوما على النحّال أن يتأكد مما يلى :

(أ) وجود الملكة ويستدل على ذلك من وجود البيض في عيون أقراص الشمع

(ب) وجود الطعام المخزون الكافي لان النحل يحتاج اليه كثيرا في هذا الفصل

(ج) عدم وجود أمراض في النحل

(د) تأمين التهوئة الكافية بتوسيع فتحة مدخل القفير

(هـ) المباشرة في طعام الربيع الذى يقصد منه ايهام النحل بطرق اصطناعية بأن موسم الربيع قد حلّ ولاجل الوصول الى ذلك لا يجوز اطعام النحل مقادير كبيرة دفعة واحدة بل يجب أن يكون يوميا بكميات قليلة تطرد في الزيادة كل أسبوع فاذا بدىء باطعام ١٠٠ غرام من السكر المذاب في الماء بنسبة ٤٠ جزءا سكرا و٦٠ جزءا ماء في الاسبوع الاول تزاد هذه الكمية الى ١٥٠ غراما في الاسبوع الثانى و٣٠٠ غرام في الثالث و٥٠٠ غرام في الرابع و٧٥٠ غراما في الخامس وكيلوغرام في الاسبوع السادس. ومن الضرورى أن يمنع الطعام قبل موعد حلول موسم تفتح الازهار بأسبوع ليجوع النحل ويأكل المخزون من العسل وبعد ذلك يضطر لمغادرة القفير والبحث في الحقول عن رحيق الازهار لامتصاصه

(و) من الضرورى زيادة عدد الاطارات في القفير حسب حاجة النحل اليها فكلما امتلأ اطار جديد يضاف آخر بدله وهكذا دواليك

(ز) في نهاية فصل الربيع يجب أن تكون الاطارات في القفير ملأى ببيوض النحل وبرقاته وصفاره

(ح) من الضرورى فحص القفران مرة كل خمسة أيام ليتأكد النحّال من وجود المكان الكافي في القفير لوضع البيوض وصنع العسل فاذا لاحظ ضيقا أضاف اطارات جديدة أو طبقة ثانية ملأى بالاطارات العشرة.

٤) فصل الصيف : في بداية هذا الفصل وقبل نهاية موسم الازهار يكون النحل المعتنى به كما مر قد ملأ أكثر الاطارات بالعسل فواجب النحّال أن يراقب هذا الوقت بحرص فاذا ما وجد اطارات قفرانه ملأى بالعسل عليه أن يستعد لقطف عسلها ويستلزم الاستعداد وجعل الملكة في صندوق التربية وتقليل عدد النحل في الطبقة العاسلة ومن الضرورى أن يذكر في مثل هذا الوقت أن النحل يحتاج الى غذاء فيترك في قفرانه مقادير من العسل تكفى لمؤونته

تشرشل رجل الساعة

— ٤ —

عضو في مجلس النواب

عندما بدأ تيار الحرب في جنوب أفريقيا في الانقلاب وأخذت كفة بريطانيا ترجح بعد سقوط جوهانسبرج وبريتوريا ورفع الحصار بين مدينتى لادى سميث ومايفكنج ، قررت الحكومة الانجليزية أن تجرى انتخابات عامة لتضمن الفوز بالاكثرية فيها بتأثير تحسن الحالة الحربية

فعندما عاد ونستن تشرشل الى انجلترا في سنة ١٩٠٠ كانت معركة الانتخابات العمومية على أشدها فخاضها بغير ونى وذهب الى والدهام سعيا وراء تأييد الاحرار أو المستقلين في دائرتها الانتخابية مرة أخرى

كان مجلس النواب الذى على وشك الانتخاب المجلس الاول في القرن العشرين ، والاخير في حكم الملكة فيكتوريا. وكان رئيس الوزراء المحافظ لورد سالسبورى خادمها الامين ومرشدها الصادق آخر رئيس لوزراء بريطانيا من كبار الاعيان وأصحاب الاملاك في بريطانيا. وكان قد خلف دزرائيلى زعيما للحزب وأقام رئيسا للوزارة من سنة ١٨٨٥ الى ١٩٠٠ اذا استثنينا فترة قصيرة بين سنة ١٨٩٢ وسنة ١٨٩٥ وكان من كبار أعوانه في تسيير دفة الدولة أنسباؤه من بيت سسيل العريق ، وأحدهم جيمس بلفور (اللورد بلفور بعدئذ) كان وكيلا لخاله اللورد في زعامة مجلس النواب

كان سالسبورى رئيس الوزارة الذى اختلف معه اللورد راندولف والد ونستن تشرشل ، وكان أرثر بلفور صديق والده الحميم. نعم كانت زعامة المحافظين في أيديهما. ولكن جوزيف تشمبرلين (والد أوستن ونفيل) كان شخصية يعتد بها وقوة في الحزب يحسب لها أكبر حساب. ومع أن جوزيف تشمبرلين لم يبلغ أعلى المناصب السياسية في الدولة التى بلغها ابناه الا أنه كان أعظم من كليهما

كان حزب الاحرار البريطانى حينئذ منقسما على نفسه ، بسبب مشروع استقلال ارلندا الذاتى ، وانسحاب جوزيف تشمبرلين وأصحابه منه. وجاءت حرب البوير فزادته انقساما وشقاقا بين الفريق الذى كان يوصف ، بالاحرار الامبراطوريين ، والفريق المتطرف المكتفى بانجلترا الصغيرة منصرفا عن الامبراطورية. وكان هناك فريق ثالث يعارض في الحرب أشد معارضة وكان أظهر أعضائه محاميا بارعا ألمعيا من ويلز يدعى دافيد لويد جورج

فكانت خطة المحافظين في الانتخابات العمومية الوشيكة ، غاية في البساطة ، قاعدتها أن تطلب الحكومة القائمة — وهى حكومة محافظين — انتدابا جديدا من الشعب لانهاء الحرب على وجه مرض بعد أن رجحت الكفة البريطانية ، وأن يدمغوا خصومهم بضعف الوطنية باسناد تأييد البوير اليهم ، ولذلك كان جوزيف تشمبرلين يقول : كل مقعد تخسره الحكومة يكسبه البوير».

عاد ونستن الى انجلترا فوجد أن معركة الانتخابات دائرة ، وانه رجل الساعة

فوجهت اليه احدى عشرة دائرة انتخابية الطلب بقبول تمثيلها ولكنه كان قد هزم قبلا في أولدهام. وعلى الرغم من أنها أميل الى الاحرار عادة ، دفعه حب النضال الى العودة اليها ثانية

كان في الانتخاب السابق ابن نبيل لا أكثر ولا أقل. أما الآن فقد أصبح علما يشار اليه لان الصحف أضفت عليه شهرة عظيمة بنشرها كل ما اتصل بها من مغامراته الافريقية. فدخل أولدهام. وكأنه فاتح مظفر. والواقع أن أصدقاءه ومؤيديه استقبلوه بعزف نغم عنوانه «البطل الغازى» واجتاز الشوارع في عربة مفتوحة وكان في احداها لوحة انتخابية وصف فيها ونستن تشرشل بأنه «أنبل أبطال انجلترا»



هذه هى مناورات الاحزاب وأساليبها في الانتخاب

واغتاظت احدى جرائد الاحرار من كل هذا فكتبت ساخرة «يظهر أن أولدهام لا تدرى هل هو لورد برودنس أوبل أدامز الذى فتح بريتوريا أو ونستن تشرشل»

لم يجزع أحرار لانكشير — وأولدهام — دائرة انتخابية في لانكشير — من اقتحام هذا البطل معقلا من معاقلهم ، فناضلوه نضالا عنيفا ولكن موقفه كان صريحا. وكان له من اشتراكه في حرب البوير اشتراكا فعالا سند قومى. قال : كنت حتى تنشب الحرب أطلب السلام مهما يكن الثمن فلما نشبت أصبحت أطلب النصر مهما يكن الثمن

وكان منافساه «رانسيمان» و «أموت» من أتباع «الاحرار الامبراطوريين» فوجدهما هدفا مستساغا لحملاته العنيفة وأقواله اللاذعة. فوصف النزاع بين الاحرار والمحافظين بأنه نزاع بين «المقلد» و«الاصيل» فلما قال رنسيمان انه مقتنع بأن تلك الحرب كانت حربا عادلة وندد بكروجر زعيم البوير وأنكر أنه من مؤيدى البوير سأله تشرتشل : اذن لماذا تعارض الحكومة ؟

ومن أقواله التى كان لها وقع عظيم «ليس للاحرار سياسة خاصة بهم. ولا يجدون في سياستنا مطعنا ما الا أنهم يريدون تنفيذها بأنفسهم ،

وجاء تشمبرلين العظيم — جوزيف تشمبرلين — الى أولدهام فخطب طويلا مؤيدا تشرتشل الشاب ، وقد كان اسم تشمبرلين ذا منزلة عالية في جماهير العمال وكان من توفيق تشرتشل أن فاز بتأييد رجل في مكانته

كان النضال عنيفا. وكانت دائرة أولدهام الانتخابية تنتخب عضوين في مجلس النواب فالمرشحان اللذان يفوزان بأكبر عدد من الاصوات ينتخبان. فلما أحصيت الاصوات في هذا الانتخاب ثبت أن «أموت» نال أكبر عدد منها وتلاه تشرتشل. وكذلك أصبح عضوا في البرلمان نائبا عن دائرة انتخابية أحد نائبيها من الاحرار (أموت) وثانيهما من المحافظين (تشرتشل). ومن المرجح أنه لو تقدم محافظ غير تشرتشل للنيابة عنها لكان النائبان من الاحرار أى (أموت) و (رنسيمان) :

ومن غرائب أساليب الانتخاب في انجلترا في تلك الايام أن الاقتراع لم يكن يتم في يوم واحد بل كان يتم في بضع دوائر في يوم ما ثم في دوائر أخرى في أيام أخرى فلما ثبت فوزه بالنيابة انهالت عليه الطلبات ليخطب في دوائر انتخابية حيث تمس الحاجة الى تأييد مرشح المحافظين بأقوال خطيب محبب الى الجماهير. وكذلك دعى الى الخطابة في تأييد تشمبرلين في برمنغهام. والى تأييد بلفور زعيم الحزب في منشستر. فكانت دعوته هذه الى تأييد أكبر زعماء الحزب اعترافا بألمعيته وتأييدا لمقامه. فلما انتهت الانتخابات بفوز المحافظين وقبل أن يتخذ مكانه في مجلس النواب اجتاز تشرتشل المحيط الاطلنطى ليلقى سلسلة من المحاضرات في الولايات المتحدة الاميركية. وكانت شهرته قد سبقته الى كل مكان يفد عليه فجنى من الرحلة ربحا ماليا غير يسير أضافه الى ما جناه من عمله الصحفى ورواج كتبه فبدأ حياته السياسية وله في البنك عشرة آلاف من الجنيهات جناها بعرق جبينه

تشرتشل الخطيب

فلما اجتمع المجلس الجديد تعين على تشرتشل أن يلقى خطبته الاولى فيه

ومن المسلم به بين الخطباء الذين خبروا المنابر وخطبوا في الجماهير أنهم كثيرا ما يشعرون بشىء من الاضطراب والجزع قبيل النهوض للخطابة في مجلس النواب البريطانى لان أعضاءه نخبة لا يرضيها الا الجيد المختار الحصيف من الكلام

وتشرتشل ليس من الذين يعد الاضطراب بين نقائصهم. ولكنه مع ذلك اضطرب قبيل القاء خطبته الاولى عندما آن أوانها. وكان همه منصرفا بحكم

الطبع الى المحافظة على الصيت الذى ناله. ولكن ذلك لم يقعده عن القاء الخطبة في الفرصة الاولى التى اتيحت له

فتحت الدورة في اليوم الثالث والعشرين من شهر يناير سنة ١٩٠١ فلم تنقض أربعة أيام حتى فاز باذن الرئيس في الكلام. كان موضوع المناقشة «أفريقية الجنوبية والحرب فيها» وكان هو من أعلم أعضاء المجلس بتلك البلاد. أما الحرب فكان قد اشترك فيها اشتراكا فعالا. فالفرصة مؤاتية والموضوع موضوعه

كان تشرتشل في هذه الايام يعد خطبه ويحفظها عن ظهر قلب ويلقيها بعد اجراء تعديل مناسب للمقام في استهلالها ، ولكن هذا النوع من الخطابة لا يتفق والمناقشات البرلمانية وما فيها من أخذ ورد ، فأعد خطبته وعلق أمله بفرصة تتاح له لاجراء تعديل مناسب للمقام في مستهلها. وجاءت الليلة الموعودة. ولكنه وقف موزعا بين أصدقاء يشجعونه بقولهم ان الميدان أمامه فليجل فيه، وآخرين يثبطونه. فنبذ قول المثبطين وجلس في مقعد وراء مقاعد المحافظين الامامية قريبا من رجل يدعى جبسن بولز كان قد بلا حلو المناقشات البرلمانية ومرها. ولبث ينتظر دوره في الكلام

وكان عليه أن يتكلم بعد لويد جورج. وكان لويد جورج قد أدرج في اللائحة مقترحا ظن تشرتشل وصحبه أن يكون خير توطئة لخطبته ، الا أن لويد جورج خطب خطبة بليغة بغير أن يشير الى المقترح ، ولا اقترح على المجلس مناقشته كما كان متوقعا ، فأوصد ذلك الباب في وجه تشرتشل وجاء دوره وهو لا يعرف كيف يستهل ، فهمس في أذنه جاره جبسن بولز ، قل : — بدلا من أن يلقى حضرة العضو المحترم خطبة عنيفة بغير أن يقترح المناقشة في اقتراحه المعتدل ، كان يحسن به أن يقترح المناقشة في اقتراحه المعتدل ويعفينا من سماع خطبته العنيفة

فراق تشرتشل هذا الاستهلال المرتجل ، وراق كذلك أعضاء المجلس فأتيح له كذلك أن ينتقل الى القاء خطبته المعدة متجنبا الاضطراب الذى يقع فيه كثيرون من خطباء المجالس النيابية

كانت المناقشة في موضوع أفريقية الجنوبية وحربها ، قد اتجهت قبل قيامه للخطابة الى معاملة البوير. وكان الاحرار — خصوم الحكومة المحافظة — قد أعربوا عن عطفهم على البوير ، فقال تشرتشل في الرد عليهم أنه لا يظن أن البوير سيبالغون في قيمة هذه الاقوال لانه لا يعرف شعبا مثلهم حظى بعطف كلامى كبير ، وعطف عملى قليل

ثم قال : مما شاهدته بنفسى في حرب البوير وحروب أخرى ولا سيا الحروب التى اشترك فيها المدنيون ضد أولى الامر ، أشهد بأن الانسانية والكرم روعيا مراعاة عظيمة في معاملة البوير ، فيجب على الحكومة الآن أن تتخذ قاعدة سياستها تسهيل تسليمهم بشرف ، وتوكيد ما يتعرضون له من الخطر والالم اذا مضوا في القتال

وكان الروح الشائع في خطبته روح العطف الكريم مما رفعها عن مستوى الخطب الوطنية الحماسية العادية ، وكان الهدف الذى اتجه اليه هدفا لا ينتظر الا من البناة المصلحين ، ذلك بأنه حث الحكومة على هزمهم في الميدان ثم فتح الباب لهم لتحقيق حريتهم وادماجها في نطاق من الحرية أوسع وأعظم هو نطاق حرية الامبراطورية ، وأشار بوجوب ضمان سلامة الشعائر الدينية وقوانين الملك ومنحهم حقوقا متساوية مع حقوق سائر شعوب الامبراطورية وقطع العهد لهم بانشاء حكم نيابى ، ثم يجب أن يمنحوا — كما يمنح كل خصم شجاع — الاحترام الجدير بخصم شريف قهر في الميدان

ومضى تشرتشل في خطبته على هذا النمط العالى في خطابته مازجا فيها بين الاعتبارات الانسانية والسياسية العالية والمقترحات العملية كاقتراحه مثلا تعيين الفرد ملنر (لورد ملنر بعدئذ) رئيسا للادارة في جنوب أفريقية خلال فترة الانتقال وقبل منح البوير الحقوق والمزايا التى تقدم ذكرها

وختم بشكر المجلس الذى أصغى اليه ، لا لقيمة ما يقول ولكن من «أجل ذكرى مجيدة لا يزال كثيرون من كبار الاعضاء يحتفظون بها» وفي هذا اشارة الى ذكرى والده

فحياه المجلس عندما جلس بدوى من التصفيق ، وتوالى الخطباء من الاحرار والمحافظين بعده وعلى ألسنتهم عبارات الثناء والحمد ، ومما قاله جوزيف تشمبرلين «سرنا أن نرى الوالد ثانية في ولده» ولعل تشمبرلين كان يعرب في قوله هذا عما يجول في نفسه حيال ابنه أوستن (السر أوستن تشمبرلين) الذى لم يكن عضوا في البرلمان حينئذ فحسب بل من الاعضاء الذين يرجى لهم مستقبل مجيد ، وحيال ابنه الآخر نفيل وكان حينئذ متوليا أعمال الاسرة الصناعية ولكنه أدرك بعدئذ أعلى منصب في الدولة وهو المنصب الذى قصر دونه والده وشقيقه الاكبر

وفي اليوم التالى تكلم أحد زعماء الاحرار هربرت اسكويث فقال : «اننا جميعا — ولا سيا الذين نعموا منا بصداقة والده الالمعى — نرجو أن تكون خطبته البرلمانية الاولى مفتاحا لسيرة سياسية ممتازة»

كانت هذه الخطب مما ثلج له صدر تشرتشل ، ولكن أهم منها في نظره كان تعرفه بلويد جورج ، فقد تعرف أحدهما بالآخر عندما القيا خطبتيهما في المجلس فتوثقت بينهما أواصر صداقة تغلبت على كثير من العقبات والمحن السياسية

تشرشل المستقل

بعد ما ألقى تشرتشل خطبته الاولى ، أصبح في وسعه أن يتفرس في المجلس لاستكشاف مداخله السياسية ومخارجه ليخط لنفسه طريق الشهرة والتقدم

أمام كل عضو في مجلس النواب طريقان الى الارتقاء السياسى. أما الاول فان يوالى الحزب الذى ينتمى اليه وينقاد الى أوامر مدبريه. وبعد أن يقترع سنوات متوالية في جانب الحزب مع سائر الاعضاء وفقا لارشاد المدبرين يعتبر عضوا أصيلا يصح الاعتماد عليه فيفتح أمامه باب الترقى اذا ثبتت كفاءته فيرقى الى مصاف صغار الوزراء

وأما الطريق الآخر فهو طريق الاستقلال وهذا قلما يفضى الى السلطان

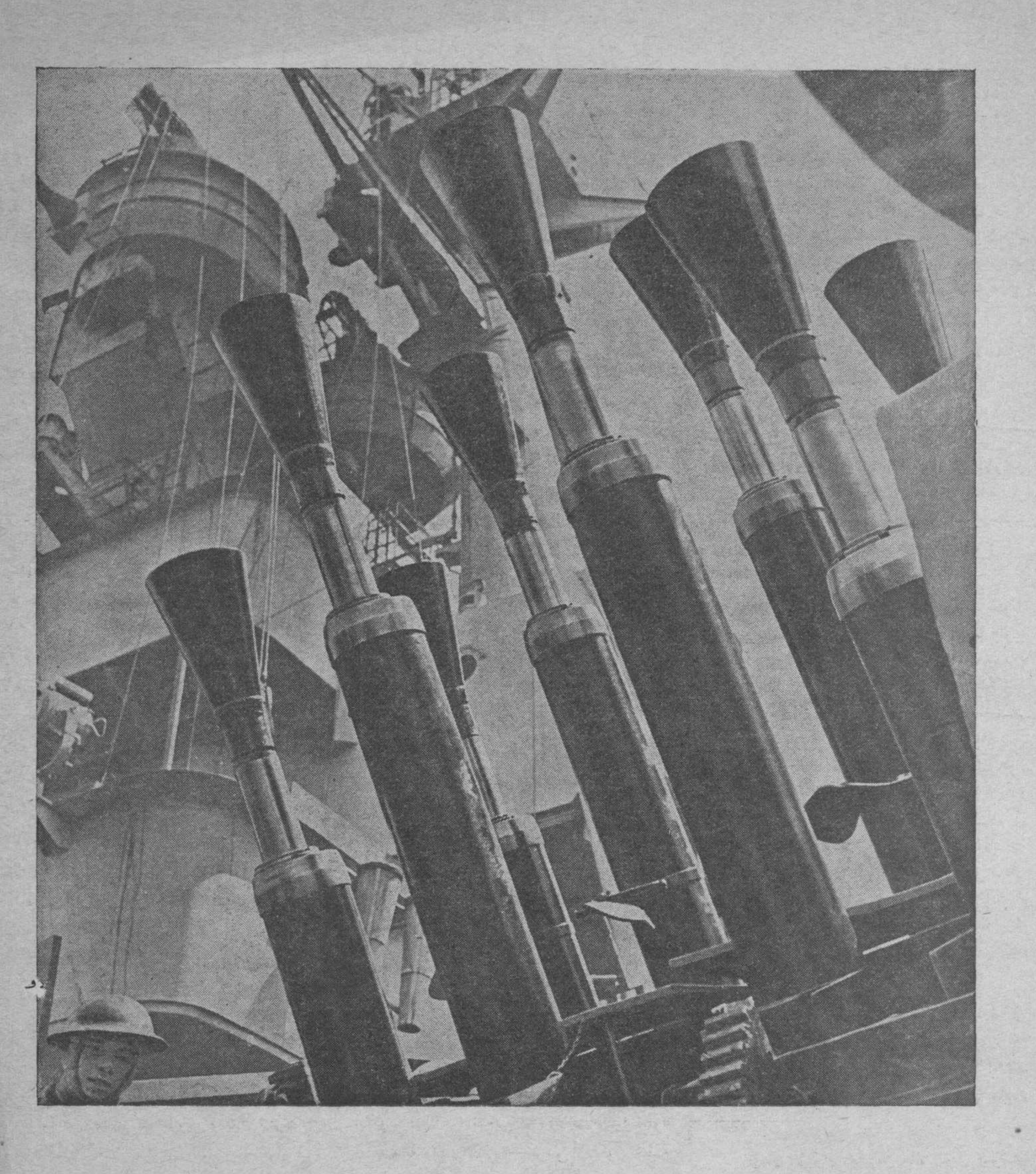
لم يطل المطال على تشرتشل حتى أثبت أن الطريق الاول ليس بطريقه. فاللازم الذى أقدم على نقد القواد وغدا عضوا في البرلمان لا يقنع بتلقى الاوامر والارشادات بل يطمح الى وضع الخطط لزعماء الحزب. وكما كان موضوع أفريقية الجنوبية موضوع خطبته الاولى كان الموضوع نفسه الفرصة الملائمة لاثبات استقلاله

كان الوزراء قد توقعوا انتهاء الحرب بعد سقوط «لادى سمث» و «بريتوريا» ولكنهم على ما يلوح أساءوا تقدير ما يتصف به البوير من التماسك وصدق العزم. فطالت الحرب ولم يستسلموا فأصدرت الحكومة بيانا ، غرضه الفت في عضد البوير ، ومؤداه أن كل زعيم من البوير لا يستسلم قبل شهر من الزمان ينفى مدى العمر. فثار تشرتشل على هذا القرار فقال «اننى لا أومن بأن هذا الطريق هو طريق الحكمة ، ولا أنه يمهد لنا سبيل النصر أو سبيل السلام في أفريقية الجنوبية». وكان رأيه تعزيز القوات البريطانية المحاربة على أن تكون كاملة السلاح قادرة على التنقل السريع من مكان الى آخر ، لاحراز النصر التام ثم بذل العفو الكريم. ولو أن المعارضة أرادت أن تربك الحكومة بعد بيانها السابق لما طلبت طلبا أشد من طلبه وهو من الحزب الذى يؤيدها

وفي السنة التالية انحاز تشرتشل الى المعارضة في اقتراح اقترحته. مداره صحفى انجليزى في جنوب أفريقية كان قد انتقد كتشنر ثم أراد العودة الى انجلترا فمنعته السلطات العسكرية في أفريقية الجنوبية من مغادرة البلاد

فاعتبر الاحرار عملا من هذا القبيل قسوة في معاملة رجل عوقب بالسجن لاجل خطأ ارتكبه لان النقد الموجه الى كتشنر كان قذفا. وذهبوا الى أنه اعتداء على مبدأ الحرية الشخصية

«لها بقية»



المدافع العظيمة المضادة للطائرات

في بارجة بريطانية